

جامعة دمشق
مكتبة الكتب والمطبوعات
المكتبة

الدكتور

الدكتورة

هاشم حمادي

خيال الجواهري

قسم المكتبات والمعلومات

قسم المكتبات والمعلومات

كلية الآداب - جامعة دمشق

كلية الآداب - جامعة دمشق

تاريف الكتب والمكتبات

المقومون العلميون

د. كامل عمران

د. عطاء الله الرخين

د. أحمد حامدة

لطلاب السنة الأولى - كلية الآداب

حقوق التأليف والنشر محفوظة لجامعة دمشق

منشورات جامعة دمشق



فهرس المحتويات

٥

المقدمة

الفصل الأول : خزانن العصور القديمة

٧

آ - اختراع الكتابة

٧

ب - مراحل الكتابة

٩

ج - أنواع الكتابة

١٢

د - مواد الكتابة

١٨

هـ - أمثلة عن المكتبات القديمة

الفصل الثاني : الكتب والمكتبات في الحضارات القديمة

٢٩

أولاً - الصين

٣٠

ثانياً - الهند

٣١

ثالثاً - في الحضارة الفارسية

٣٤-٣١

رابعاً - في الحضارة الإغريقية - الرومانية

٣٥

خامساً - في الحضارات الأمريكية القديمة

٣٦

سادساً - مواد الكتابة وأدواتها

الفصل الثالث : الكتب والمكتبات في الحضارة العربية الإسلامية

٤٠

آ - العصر الجاهلي

٤٢

ب - نشأة وتطور الخط العربي

٤٧

ج - الكتب والمكتبات في العصر العباسي

- ٦٣ د - العوامل التي أدت إلى نشوء المكتبات
- ٦٦ هـ - أهم الملامح للمكتبات في العصر العباسي
- ٧٠ و - أنواع المكتبات مع الأمثلة
- ٨٤ ز - نهاية المكتبات

الفصل الرابع : الكتب والمكتبات في أوروبا والشرق الأقصى

- ٨٧ ١ - في العصور الوسطى
- ٨٧ آ - في أوروبا
- ٨٨ ب - في الشرق الأقصى
- ٩٨ ٢ - في عصر النهضة
- ١٠١ ٣ - في عصر الطباعة
- ١٠٥ ٤ - المكتبات الوطنية في أوروبا

الفصل الخامس : المكتبات في العصور الحديثة

- ١١١ آ) نشوء وانتشار الطباعة في الوطن العربي
- ١١٤ ب) المكتبات الوطنية في البلدان العربية

المقدمة

تاریخ الكتاب هو تاریخ رغبة الإنسان في حفظ موروثه الفكري ووضعه في متناول الأجيال اللاحقة . وهو بالإضافة إلى ذلك ، والأهم من ذلك ، ترجمة هذه الرغبة إلى واقع محسوس .

فعلى مر العصور حاول الإنسان تدوين مشاعره وأفعاله ومشاهداته على جدران المغاور والكهوف أولاً ، ومن ثم على ألواح الطين وسعف النخيل وورق البردي والرق ومن ثم الورق فأشرطة التسجيل والأسطوانات وأخيراً أجهزة الكمبيوتر والأنترنيت .

وفي هذا الكتاب محاولة للإحاطة بإيجاز بما مرّ به الكتاب والمكتبات عبر العصور المختلفة ولدى الشعوب والحضارات المختلفة ، بدءاً من بلاد ما بين النهرين والحضارات القديمة في بلدان الشرق الأقصى ، وانتهاءً بالواقع الحالي للكتاب والمكتبات في ظل التطور والتقدم العالميين .

ولدى البحث في مسيرة تطور الكتاب والمكتبات في البلدان الأجنبية لم نجد مرجعاً أفضل وأدق وأكثر علمية و موضوعية من كتاب « تاریخ الكتاب » للبروفيسور اليوغسلافي الكسندر سيفيتش ، الصادر عن « عالم المعرفة » الكوبيتية في مجلدين ، بترجمة الدكتور محمد الأرناؤوط ، ولقد استعرضنا مادة هذين المجلدين ، اللذين يقعان في زهاء ٥٠٠ صفحة ، وانقينا الأكثـر منها أهمية وضمنها هذا الكتاب ، بالإضافة إلى عدد من المراجع الأخرى .

أما بالنسبة للمادة المتعلقة بالتاريخ للكتاب والمكتبات عند العرب والمسلمين فقد اعتمدنا على عدد من المراجع العربية ، وهي للأسف لاتزال قليلة ، ونکاد نتشابه مع بعضها .

نرجو أن تكون قد وفقنا في اختيار هذه المعلومات ، التي نضعها بين طلاب السنة الأولى في قسم المكتبات . والتي نأمل أن تعطيهم تصوراً واضحاً عن مسيرة الكتاب والمكتبات ومراحل التطور ، التي مرّ بها عبر العصور وفي الحضارات المختلفة .

دمشق ١٩٩٨



الفصل الأول

خزائن العصور القديمة

القسم الأول

آ - اخراج الكتابة :

مررت الكتابة منذ القدم بتطورات وفقاً لتطور المجتمعات البشرية التاريخي وتطور الإنسان ووعيه لما يدور حوله وتفاعلاته مع الواقع ، الأحداث والظواهر ، ومن خلال تسجيل أفكاره والتعبير عن مجريات حياته اليومية وتدوين ملاحظاته ، بوساطة النقوش والرسوم على الصخور ، والأبنية والجدران والكهوف . التي حولت هذه الخطوط الرائعة والتي دلت على حيرة أصحابها في مجال رسم الأحداث والذين تكروا منذ آلاف السنين أن يدعوا في استخدام مهاراتهم وقصصير الجوانب المتعددة من حياة المجتمع الذي عاشوه في تلك المرحلة من التاريخ .

كان ذلك دليلاً على وجود الحضارات التي خلفها الآشوريون ، والبابليون والسمريون والفراغنة والصينيون ... إلخ .

بدأت النقوش والخطوط أو الرسوم تتحدى أشكالاً وأنماطاً متعددة ، يمكن أن نقسمها الآن إلى مراحلتين أساستين هما :

آ - الكتابات المعرفة عن المعاني : Sema Sioqraphy

وهي الكتابة التي عبر فيها الإنسان عن أحداث حياته المعيشية بالصور التي يفهم منها الأشياء المراد بها التفاصيم ، وبعد ذلك أخذت صيغة الرموز للأشياء مثل الشمس ترمز للنهار ، أو اليوم ، والقدم يعبر عنها عن النهاب والخروج أو العودة . ومثال على ذلك الكتابات الأولى مثل الكتابة المسمارية (Cuneiform) والكتابة الهيروغليفية (Hyroglyph) أو الكتابة السومرية المصورة . وأخرها الكتابة التصويرية وما يسمى مرحلة الصورة Ideogram وكانت على أنواع وهي :

آ - الخط الهيروغيلي في مصر .

ب - الخط الحثي في بلاد الشام .

جـ - الخط الصيني في بلاد الصين .

دـ - الخط الآشوري في القرن السابع وانتهى إلى الخط المسماري .

هـ - الخط المسماري وكان في النصف الثاني من عصر الوركاء في حدود

٣٥٠ ق.م .

وكذلك مرت الكتابة في هذه المرحلة بما يسمى الرمز (Symbol) وذلك بعد أن ترجمت أفكار الإنسان في هذه الفترة بالصور وبعد مرور فترة زمنية استعملت الرموز للأشياء مثل الشمس ، والقدم واليد ، والقلم يعني الأكل .

تطورت الكتابة إلى مرحلة المقطع Syliabi gue باكتشاف القلم والانتقال من الكتابة الصورية إلى الرمزية كما في الكتابة البابلية والمصرية القديمة .

بـ - الكتابة المعبرة عن الأصوات : Phonography

في هذه المرحلة بدأ الإنسان يحدد الأشياء مستعملاً أفضل الوسائل . فتوصل إلى كتابة الأحرف إلى مقاطع من حرفين (الكتابة المقطعة) لدى المصريين القدماء والأكاديين والساميين وفيه تكونت مرحلة الفحاء الأولى مثل (آ) تعني ماء و (ك) تعني كلباً وهذا ما سمي المصطلح (Determination) .

بعد ذلك توصل الإنسان إلى الألفابيتية التي تعتمد الصوت .

ولقد تعددت الآراء حول بداية الكتابة ، وشكلها ، ونوعها ، ومنى وأين ؟ في بعض المصادر اعتمدت في تحديد مولد الكتابة ، على نوعها أو شكلها وذلك منذ أن بدأت تأخذ بالتعبير عن فكرة أو حدث .

إلا أن أكثر المصادر تشير إلى أن بدايات الكتابة كانت في بلاد ما بين النهرين (العراق) الآن ، وذلك اعتماداً إلى بداياتها ، والتي سميت بالكتابة المسмарية أو الاسفينية . إذ جاء في أبسط أنواعها ، ومنذ اختراعها في عصر أوروك (٣٨٠٠-٣٥٠٠ ق . م) ، حيث تقع أطلال (الوركاء) ما بين بغداد والبصرة وهي « أرك » التوراة كانت المدينة مكرسة في القديم لالهين « آنر » و« إانسا » وفي هذا العصر حللت الأختام الاستوانية ونقشت عليها النباتات والحيوانات والصور الميثولوجية والمعارك والبطرونس الدينية . وكانت تصنع من الأحجار الكريمة ومسطحة .

جد - أنواع الكتابة :

آ - الكتابة المسمارية (Cuneiform) :

تعد الكتابة المسمارية من أشهر وأقدم الكتابات التي عرفها التاريخ ، فقد اخترع السومريون كتاباتهم هذه قبل أن يبدأ المصريون استخدام العلامات الصوتية في كتاباتهم بعدهة قرون . وبحث علماء الآثار في بداية الكتابة ، وأكّد بعضهم ، وجودها في الشرق القديم الذي يعد مهد الحضارات الإنسانية الأولى (ويقصد بالشرق القديم منطقة بلاد الرافدين والشام والشرق الأدنى بعامة ومصر) ، وقد عثر علماء الآثار أثناء التفتيش في مدينة نيبور (Nippuer) جنوب العراق على مجموعات ضخمة من هذه الرقم أو الألواح الطينية (انظر مواد الكتابة) يعود تاريخها إلى (٤٠٠٠) سنة قبل الميلاد .

ويذكر بعض العلماء أن الكتابة المسمارية بدأت في العراق في عصر أوروك (بحدود ٣٨٠٠-٣٥٠٠ ق . م) حيث بدأت هذه الكتابة بيئة صور للأشياء المراد تدوينها ، وهذا ما يعرف بالتطور الصوري (Pictography) الذي استعمله السومريون للتعبير عن لغتهم المطلقة . كانت موضوعات هذه المرحلة سجلات بسيطة لأملاك المعبد ووارداته .

كانت هذه الكتابة في أولى آطوارها مولفة من علامات صورية نحو (٢١٠٠) علامة ولكنها تطور الزمن اختصرت وأصبح عددها في عهد جدة نصر زهاء ٦٠٠ علامة ، وتكونت من صور ذات دلالات حيوية ، رسمت بخطوط مقوسة ومستقيمة ، حتى بلغت عام ٢٥٠٠ ق ، مرحلة متقدمة ، وبعد سبعة قرون أخرى اتخذت خمسة أشكال فقط . وعند هذه الكتابة إحدى اللهجات التي كانت تستخدم في الرافدين والإيلاتي في سورية والمكعانية التي تضمنت لهجات فرعية مثل اللهجة الوغاريتية اللهجة الفينيقية ، كما كانت اللغة السومرية هي اللغة الثقافية في ذلك الوقت ، ولأنها لغة الكتابة المسمارية فهي تقسم إلى نوعين حسب اللهجات :

- ١ - مجموعات اللغات السامية المكتوبة بالعلامات المسمارية الاسفينة على شكل مقاطع وتشمل الكتابات الأكادية ، الإيلاتية ، والأشورية والبابلية والassyrian و المكعانية .

٢ - مجموعة اللغات السامية التي كتبت بالرموز الأجدية (الألفبائية) بطريقة (Letter) وتشمل الكتابة الأوغاريتية والفينيقية والأرامية والعبرية .

٤ - الكتابة المصرية (Hirogliph) :

كانت الكتابة المصرية القديمة الاهيروغليفية في البداية بسيطة ، اشتهرت بها حضارة وادي النيل ، كانت على شكل رسوم مصحوبة بعض الرموز قريبة للزخرفة أو زينة تصويرية ، وأول من اكتشفها الأغريقيون وهم من سموها بالاهيروغليفية لما اتسمت من رسوم تعبيرية جميلة كانت تسم برسم خطوط متوجة مثل الشمس أو الشهار برسم دائرة ووسطها نقطة ، وعن الحزن برسم عين تدمع . كان ذلك في عصر الأسرة الأولى في مصر ، وعدت من أقدم الخطوط منذ بداية العصر الحجري حتى عصر السلالات . واستعملت منذ (٢٩٠٠ ق. م - ١٠٠ ق. م) .

تطورت هذه الكتابة عبر ثلات مراحل وهي :

٥ - الخط الاهيروغليفى (Hirogliph) :

بدأ هذا الخط بإشارات ورسوم تعكس ما في الحياة الطبيعية للإنسان والحيوان والنبات ، تعد من أقدم الخطوط المصرية وظل استعماله من القرن الأول الميلادي حتى نهاية القرن الثالث الميلادي ، استعمل في الرسوم على جدران المعابد والقبور وتسجيل الأحداث الدينية .

مرئ هذا الخط الاهيروغليفى بثلاثة تطورات أساسية هي :

١ - الكلمات المصورة : deogram - Logogram -

٢ - الرموز الصوتية : Phonogram .

٣ - الرموز الدالة : Determination وهي رموز تدل على المصطلحات .

ب - الخط الهيراطيقي (Hiratic) :

ويعنده خط الكهنة أو الخط الكهنوتي ، حيث اختراع المصريون منذ أوائل عصرهم . واستعمل من قبل الكهنة ودونت به آداب المصريين . ولم يستعمله باقي العامة من الشعب .

جـ - الخط الديموطيقي (Demotic) :

سمى هذا الخط بالشعبي لأنَّه استعمل بصورة واسعة بين العامة ، ولم يكن مخنكاً على جماعة معينة ، إنما كتب به في مختلف مجالات الحياة العامة ، كان ذلك في القرن العاشر ق.م . وبعد دخول المسيحية إلى مصر عندما كتبوا لغتهم بحروف يونانية .

ـ ٣ - الكتابة الإيلولية :

اكتشفت هذه الكتابة أثناء التنقيبات الأخيرة بمدينة إبلا من قبل بحثاء متخصصين ، عشر على الواح طينية يعود تاريخها إلى الفترة (٢٤٠٠ - ٢٢٥٠) قبل الميلاد .

وبعد ذلك رموزها توضح أنها تكتب من أعلى إلى أسفل كما هو في الكتابة الصينية ، أما الأسطر فتقراً من اليسار إلى اليمين ومن الزاوية العليا وتزولاً ، كتبت بالخط المسماري في مدينة (الأكروبول : مدينة إبلا) .

تميزت هذه الألواح بوجود أقدم معجم لفظي بين لغتين ، وأقدم عرض لفظي للmorphemes الواردات في المعجم الذي يعود تاريخه إلى سنة ٢٣٠٠ ق.م .

ـ ٤ - الكتابة الأبجدية AL-phabeta :

أول كتابة صرفة ظهرت لدى الفينيقيين قبل سنة ١٥٠٠ ق.م ، ويعود فضل اختراع هذه الكتابة إلى الفينيقيين الذين كانوا يبحرون في البر والبحر ، وبعد ظهور أول كتابة مقطعة وجدت في بلاد سومر (العراق اليوم) وتحول الكتابة من المقطع إلى الحرف وصلت إلى مرحلة الكتابة الأبجدية ، والتي تعد الطفرة النوعية لتطور الكتابة وتسجيل الإبداع الثقافي والمعجمي . ومن خلال الكشوفات التي وجدت في رأس شرارا وبيلوس ، من الأرجح أنه كان هناك نوعان من الحروف ، أحدهما وهو الذي لم يستمر طويلاً وتكون من ثلاثة حرف ، أما الآخر فكان يتكون من اثنين وعشرين حرفاً كلها كان ساكناً . وهي الكتابة الأنفجانية السامية المبسطة . وأقدم نص كتب بالحروف السامية يعود إلى ١٠٠٠ ق.م .

نقل الفينيقيون أبجديتهم إلى اليونان فيما بين ١٠٠٠ و ٧٠٠ ق.م . ومن اليونان انتقلت الأبجدية في تربتها الجديدة إلى روما ومنها إلى غرب أوروبا ، كما نقلها التجار شرقاً .

د - مواد الكتابة :

تعددت مواد الكتابة في العصور القديمة حسب الأساليب المتبعة وما كان متوفراً للإنسان ، ثم تطورت حسب الحاجة والضرورة لذلك ، ابتداءً من الرقائق (الحجارة البيضاء) إلى سعف النخيل أو جدران الكهوف والمعابد ، حتى اعتماد الكتابة على الورق .

١) - الألواح الطينية :

وُجدت الألواح الطينية في بلاد الرافدين منذ خمسة آلاف عام للكتابة عليها من قبل السومريين وذلك لوفرة الطين وكتب عليها بعد أن مرت بعده مراحل طرية الأمد من بداية تدوين الإنسان للاحظاته على الصخور والرقائق (أي الحجارة البيضاء) .

استعملت الألواح للكتابة عليها كمادة أساسية ، بعد أن تمر بعده خطوات للتحضير أو لها الأثربة بكميات كبيرة وتنظيفها من الأوراق الشجرية وما علق بها ، ثم يجري ترطيبها بواسطة الماء حتى تصبح قوالب طينية مستديرة أو مربعة ومستطيلة الشكل ، وتحتفظ بواسطة عرضها للشمس أو فخرها بال النار ، بعد الكتابة عليها وهي طرية . كانت الأداة على شكل قلم من المعden أو النحاس ، يكون رأسها مثلث الشكل وغير حاد ، وتأخذ شكل الزوايا (Cuneiforme) أي الخط المسماري ، الذي كان انعكاس لضغط الأداة على الطين ورسم الزوايا على شكل صور ذات معنى مثال Δ \triangle ، وكانت الكتابة المسمارية قد أخذت طابعها الأخير ، جمعت وحفظت هذه الألواح التي تعد من أقدم المجموعات التي اكتشفت من قبل جлан التئيب الأرضي في مدينة نكش والتي يعود تاريخها إلى (٣٢٠٠ - ٢٢٢٠ ق.م) من قبل المسماري سازارك ، كما وجدت في مدن أخرى مثل «أور» و «نيبور» «نفر» و «أوروك» ، ووُجدت في بلاد الشام وسميت بالألواح ايسلا عند غزو جيش (نaram-sin) ملك آكاد لمدينة ايسلا وتنفيذ أوامره بحرق القصر الملكي .

تفوت هذه الألواح نتيجة لشيها بالنار وبقيت أطول فترة من غيرها من الألسواح التي تركت عرضة للشمس وكان ذلك عام ٢٢٥٠ ق.م .

حافظت هذه الألواح في أماكن خاصة بالمعابد والأديرة وصنفت واعطيت رقم متسلسل . كانت كذلك تحتوي على موضوعات متعددة مثل سجلات أنساب المسووك

والحكام ، والسجلات الإدارية للفترة الآشورية والبابلية ومواضيعات أخرى مثل الوصفات الطبية والسجيم والفلس و الأساطير والطقوس ، بالإضافة إلى الموضوعات الأدبية والقانونية والتاريخية مع ذكر اسم الناشر ، وقائمة بالمحفوظات لكل غرفة من الأماكن المحفوظة بها .

رتبت ألوان إيسلا حسب المواضيعات الخمسة التالية :

- ١ - الألواح الأدبية .
- ٢ - الألواح اللغوية .
- ٣ - الألواح التجارية والاقتصادية .
- ٤ - الألواح الرسمية والإدارية .
- ٥ - الألواح الدينية .

حظلت فوق أواحة خشبية ثبّتت بشكل أفقى بعد نصيحتها على حوامل أو توالت خشبية قوية بشكل عمودي في أرض العزة .

أما أهم الواقع الأثري لهذه الألواح فهي : تل مرديخ - إيسلا - وملكة ماري (تل الحبريري) لما كانت تحويه من موضوعات ومصادر التراث السوري من النصوص التاريخية والأدبية المهمة التي يعود تاريخها إلى الألف الثاني ق.م .

(٢) - أوراق البردي : Papyrus

كانت هذه المادة التي عرفها المصريون القدماء من أهم مواد الكتابة المعروفة في تلك الفترة ، وذلك لسهولة التدوين عليها ، وكان الأغريقيون أول من مهّن بذات فصب البردي في عصر الامبراطور الفرعوني المدعور (Papyrus)) وفي الأصل هو نبات كان ينمو في مستنقعات الدلتا للتبيل ، حيث يرتفع ساق هذا النبات المثلث الشكل إلى مترين أو ثلاثة أمتار . ويقطع هذا الساق إلى شرائح مرتبة واحدة جنب الأخرى ، ومن ثم توضع طبقة أخرى من هذه الشرائح بحيث تكون متوازية مع الأولى . ومن ثم يغمر بالماء بعد أن تترسّع القشرة الخارجية ويشق اللب الداخلي إلى أواحة سميكة ، ثم يدق بدقّة من الخشب لبعض من الوقت ، وتوضع تحت ثقل كبير

مثل الأحجار الكبيرة والثقيلة لمدة طويلة حتى تلتحم وتلتصل فيما بينها بوساطة الصمغ الذي تحتويه . ثم تصقل بعد ذلك جيداً وترك بالشمس أما حجمها فكان متوسطاً ونقيانس 35×40 سم .

كان ذلك في زمن الأسرة الأولى أو العصر العتيق ٣٢٠٠ - ٢٧٨٠ ق.م . كانت مصر في عصر فجر تاريخها ، وتشابه فيها مع فنون الأمم الأخرى ، حتى تميّزت بفن ذي طابع خاص وأسلوب خاص .

استعمل قصب البردي على قسمين : الأول مكتوب باللغة اليونانية ، والثاني مكتوب باللغة العربية والذي قام بنشره الدكتور أدولف جروهمان .

كان البردي على شكل لفافة ذات وجهين ، يكتب على وجه يسمى (Recto) الذي صنعت فيه الشرائط أفقياً ، ومن النادر استخدام الوجه الثاني الذي يسمى (Verso) . وتقسم اللفافة إلى أعمدة من سطور قصيرة جداً ، فالكتاب ينقسم إلى صفحات تظهر تدريجياً للقارئ ، كلما مدت اللفافة .

أما الموضوعات التي كتبت هي : الطب ، والأدب ، والتاريخ ، والرياضية ، والفلكلور . ولذا فإن ورق البردي على أنواع كتب عليه بوساطة أداة سميت القلم وكان يسمى بالاغريقية Calamus إذا كان قد يربى مائلاً . مع مسند للكاتب يصنع من الخشب أو الصاج ، ومقاييس متفاوتة بين ٨ إلى ١٦ بوصة . كان عبارة عن خشبة مستطيلة في أحد طرفيها حفرة لوضع الحبر وتحويق طويل لوضع الأقلام .

أما أشهر البرديات وأطوالها فكانت بردية Libris غر عليها عام ١٨٦٢ من قبل الدكتور Libers يعود تاريخ هذه البردية إلى بداية الأسرة الثامنة عشرة (القرن ١٦ ق.م) وبالضبط سنة ١٥٣٣ ق.م . أما موضوع هذه البردية القيمة فهو طبي حيث تتناول العلاج لبعض الأمراض والفحص والأمراض النسائية ، واستعمال المبضم وألات سحب الدم والتدليك ، والأعشاب ، ووظائف الجسم والقلب .

كذلك كانت البرديات التاريخية : وأشهرها بردية تورين (قائمة الملوك) وتعاد من أهم المصادر التاريخية لأنها ثبتت بأسماء الملوك الذين حكموا مصر منذ بداياتها حتى وقت كتابتها في أيام الأسرة ١٩ . وتذكر الأسماء حسب توليهم العرش وال فترة التي حكموا فيها .

النوع الثالث بردیات الموتى : حيث جرت العادة في مصر القديمة أن ترافق مع الموتى حاجياتهم ومحوراتهن والصلوات والأدعية مع نصوص مقدسة لحمايتهن في رحلة الحياة الأخرى وأشار هذه البرديات هي كتاب الموتى Book of the Dead وهو العنوان الذي أطلق بصفة عامة على كتاب ديني مصرى قديم على شكل لفافات من البردى ، مكتوب عليها مجموعة من التعاويذ السحرية أطلق عليها المصريون القدماء اسم « كتاب الفدوم في وقت النهار » مكتوبة في أعمدة رأسية بخط هيروغليفى تفصلها خطوط أفقية تقرأ من اليمين إلى اليسار .

النوع الرابع من البرديات : الأدبية : وهي بردیات لأعمال أدبية دونت من قبل المصريين وأسماء الأشخاص والموضوعات كانت هي الرسائل والقصص .

النوع الخامس بردیات الثالث : كان المصريون لهم معتقداتهم في الحياة حسب الإيمان .

النوع السادس بردیات التعليم والمدارس .

النوع السابع بردیات الرياضة .

أما أقدم مخطوط كتب على ورق البردى فهو المخطوط العربي الذي يعود تاريخه إلى سنة ٢٢٨ هـ = ٨٨٤ م هي بردية ذات سبع وعشرين صفحة . ويعد أول شكل أشكال الكتاب المعروف اليوم وهو ذو الصفحتين المتقابلتين .

وأخيراً لم يكن ورق البردى مقتصرًا من حيث الاستعمال على مصر وحدها بل كان يصدر إلى بلاد البحر الأبيض المتوسط ، وبقي مستعملًا كمادة للكتابة أكثر من سبعمائة سنة بعد الميلاد ، حتى توقفت هذه الصناعة في مصر نحو منتصف القرن العاشر الميلادي (القرن الرابع الهجري) . وأخر وثيقة مكتوبة على البردى يعود تاريخها إلى عام ٣٢٣ هـ - ٩٣٥ م .

(٣) - المرق (Pergamen) :

اكتشف هذا النوع من جلود الحيوانات بألوانها المتعددة في مرحلة متقدمة بمنطقة تسمى (Pergamen) في آسيا الصغرى . وسيُ بهذا الاسم نسبة إلى المنطقة التي اكتشف فيها . كان أرق الأنواع هو جلد الماعز وبصورة خاصة كان من جلد

الغرال . أما إعداده فكان يمر براحل عديدة أولها : ينفع بالماء المغلى عدة مرات ، ويغسل ثم ينشر في الهواءطلق على الألواح ليجف ، بعد ذلك يهسي دعكه بالمحجر الخفاف حتى يصهر ناعماً . ثم يجك بالطباشير فيصبح أبيض ، وأخيراً يكتب عليه .

استعمل الرق لمدة ثلاثة قرون وذلك منذ القرن العاشر حتى القرن الثالث عشر لتسجيل المصكوك التضائيف والأعمال الصناعية حتى نهاية القرن الرابع عشر كانت نهاية وفي مدينة باريس ، لغلاء سعره الذي كان يتلزم من ١٠ - ١٢ قطعة جلد لصناعة مجلد يتألف من (١٥٠) ورقة بقياس ٢٤ × ٦ سم . كان يحتاج إلى مئات من الجلود من أجل كتاب صغير ، أما إذا كان كبيراً فإنه يتطلب الآلاف من الجلود وذلك حتى القرن الخامس عشر .

ميزات الرق بالنسبة للكتابة هو إمكان الكتابة عليه مرتين وثلاث مرات ، وذلك يحمي ما سبق من خطأ على وجهي المادة . كذلك امتاز بالقوية وسهولة تناوله ، وترتيبه على الرفوف . وكان تسركله في آخر الفترة مماثلاً بالكراس أو (Codex) ، لذلك كان على أنواع ثلاثة وهي :

١ - الكتاب الأولى المصنوعة من الرق (النقافات) وكان من أسهل طي جلد الرق .

٢ - الكتاب المصنوعة من الرق على شكل كراس .

٣ - تطوير الكراس Codex في نهاية القرن الثاني الميلادي .

حيث كانت تستخدم في صناعة كتب صغيرة ورخيصة لإمكان الكتابة على الوجهين . وأنحدرت شكل الكتاب المألوف على مدى ألف عام ، حتى القرن الخامس عشر الذي شهد عملية التحول من الرق إلى الورق ومن الكتاب المخطوط إلى الكتاب المطبوع .

مواد الكتابة الأخرى :

١ - العصب (جريدة التخييل) : وهي السعفة التي كتب عليها في العصور القديمة .

٢ - الرقوق : وهي الحجارة البيضاء كتب عليها قبل اكتشاف مواد الكتابة الأساسية .

- ٣ - العظام : وبخاصة العظام العربية مثل عظام الكتف والأضلاع .
- ٤ - المهراق : مفردتها مهرق وهو قماش من حرير أو قطن ثم يشق ويكتب عليه .
- ٥ - القرطاس : وهي نوع يعتقد أنه نوع من أنواع البردي أو أي مادة أخرى . هذه المواد التي كتب عليها الموضوعات المتنوعة والأحداث التي مر بها الإنسان القديم وتسجّيل الأفكار والأمور الحياتية من تجاريّة وأدبية وقانونية وأساطير ... وغيرها بالإضافة إلى المواد الأساسية التي ذكرت في أول الفصل وهي الألواح الطينية وورق البردي والرق وحددت بطبيعة الحال أدوات كتب بها مثل :
- ١ - الآلة أو الأداة الحادة التي كتب بها على الألواح الطينية وكانت تتميز بالرأس المدبب مثل المسمار وعندما يضغط على الطين كان يظهر زوايا حادة كالزوابيا .
 - ٢ - القلم : أو *Catamus* كما سمي باللغة اللاتينية ، كتب به على أوراق البردي عند اكتشافه من قبل اليونانيين كان يصنع من القصب ومدبب الرأس يكتب به بعد غمسه بالحبر كذلك على الرق .
 - ٣ - الحبر أو المداد : ويصنع بطريقتين عديدة أشهرها من السخام المخصوص بالصابون والمصنع والزاج .
 - ٤ - الدواة أو الخبرة : وهي وعاء خشبي أو معدني صغير يرافق مع الطاولة التي كان يكتب عليها وملأ بالحبر أو المداد ومن ثم يغمس به القلم أو الأداة التي كان يكتب بها .

أمثلة عن المكتبات القديمة

١ - المكتبات في سوريا :

وتحتاج المجموعات من الألواح الطينية في مناطق مختلفة ، عكست حضارة المجتمعات في الأرمنية السابقة وإنماجاتها المتعددة .

آ - مكتبة القصر الملكي في أوغاريت :

في عام ١٩٢٩ عثرت بعثة فرنسية في موقع رأس شمرا (شمال مدينة اللاذقية) على المدرسة الملحقة بالمعبد الديني التي يعود تاريخها إلى القرن الثامن عشر ق.م ، احتوت هذه المجموعات على نصوص كتب بالخط المسماري وبالأحرف الأبجدية الفينيقية ، وجمعت مختلف العلوم الطبيعية والجغرافية والتجارية ، عكست فيها الأسلوب المعيشي والحياة التي كانت سائدة في تلك الفترة . وتحتاج سجلات عليها كذلك الأساطير الدينية والنصوص التاريخية بالإضافة إلى الأدب الكنعاني . وأهم ما اكتشف فيها الكتابة الأبجدية من قبل الكهانين نحو القرن الخامس عشر ق.م . بالإضافة إلى المعاجم اللغوية والوثائق التي كانت تملأ غرف القصر الملكي وبصورة خاصة للرسائل والعقود المبرمة التي وجدت في المكتبة الملحقة بالقصر وتعود إلى المدرسة الدينية الملحقة بالمعبد .

ب - مكتبة القصر الملكي في ماري :

يعتبر هذا القصر أهم مرکز للحضارة القديمة عام ١٩٣٥ ، عندما اكتشف موقع ماري ، من خلال تمثال وجد في هذه المنطقة من قبل لجنة التنقيب للآثار في شمال شرقى سوريا في موقع يسمى تل المحرري قرب دير الزور . كان هذا القصر يتسم بالفن والجمال المعماري ، يحتوى على ثلاثة قاعات مليئة بالتماثيل وغرف جدرانها مرسوم ومزخرفة بالألوان . وأهم ما فيه مدرستان لتعليم القراءة والكتابة المسмарية ، ومن ضمن هذه المكتشفات الأثرية وجدت مجموعة ضخمة من الألواح الطينية المحفوظة بالشمس بلغ مجموعها ٤٠٠٠ لوح كتب بالخط المسماري يعود تاريخها إلى الألف الثاني ق.م تضمنت على مواضيع عديدة من سياسية واجتماعية واقتصادية وفكرية .

عدّ هذا القصر من أهم المراكز للوثائق التاريخية والأرشيف الحكومي . عكست فترة من الحضارة لبلاد الشام وتاريخ الشرق القديم .

ج - مكتبة القصر الملكي في ايلا :

تقع مدينة ايلا في منطقة تل مرديخ ، جنوب مدينة حلب شمال سوريا . اكتشفت مؤخراً من قبل لجنة ايطالية للتنقيب في الآثار عام ١٩٧٥ ، يعود تاريخ هذه المملكة إلى الألف الثالث ق.م أي نحو القرن الثلاثين ق.م ، حيث اكتشفت المكتبة والأرشيف في عاصمة مملكة ايلا . وهي عبارة عن غرفتين يجهزتين بروف حشبية

رُبِّتْ عَلَيْهَا نَحْوٌ ٢٠٠٠٠ أَلْفَ لَوْحَةً طِينِيَّةً حَسْبَ تَصْنِيفِ مَعْوِنَ بِالنَّسْبَةِ لِلِّمَوَاضِيعِ . كَبِّتْ بِالْخَطِّ الْمُسْمَارِيِّ ، عَاصِرَتْ هَذِهِ الْمَكْبَتَةُ مُلُوكَ أَكَادَ فِي بِلَادِ مَا بَيْنَ النَّهَرَيْنَ . احْتَوَتْ هَذِهِ الرُّقُسُ نَصَوْصاً مَعْجَمِيَّةً وَأَدِيبَيْهِ وَتَشْرِيعِيَّةً وَقَضَائِيَّةً وَالْمَرَاسِيمِ الإِدَارِيَّةِ وَالْمُتَظْلِمِيَّةِ وَالْأَوَامِرِ الْعَسْكَرِيَّةِ . اعْتَبِرَتْ مِنْ قَبْلِ الْبَعْدِ مِهْمَةً لِأَنَّهَا احْتَوَتْ عَلَى وَثَائقَ تَصْنِيفِ مَعْلُومَاتٍ وَتَارِيخِ سُورِيَّةِ وَالشَّرْقِ الْأَوْسَطِ يَعُودُ إِلَى النَّصْفِ الثَّانِي لِلْقَرْنِ الْثَّالِثِ ق.م. .

كَانَ تَنظِيمُ هَذِهِ الْمَكْبَتَةِ عَلَى أَعْمَدَةٍ خَشْبِيَّةٍ وَضَعَتْ بِشَكْلٍ أَنْقَى ثَبَّتَ عَلَى أَعْمَدَةٍ عَمُودِيَّةٍ مُمْتَدَّةٍ إِلَى السَّقْفِ . بَعْدَهَا رُبِّتْ الْأَلْوَاحُ الَّتِي كَانَتْ عَلَى أَشْكَالٍ مُخْتَلِفةٍ مِنْهَا الْمُسْطَبِيَّةُ وَالْمَدْفُرِيَّةُ وَالْمَرْبِعَةُ .

المَكْبَتَاتُ فِي بِلَادِ مَا بَيْنَ النَّهَرَيْنَ

(الْعَرَاقُ)

تَوَصَّلَ الْعُلَمَاءُ وَبَعْدَ اكْشَافِ الْكِتَابَةِ وَتَطْوِيرِ أَشْكَالِهَا ، وَأَنْوَاعُهَا وَالْمَوَادِ الَّتِي كَبِّتْ بِهَا وَالْمَوَادِ الَّتِي كَتُبْتْ عَلَيْهَا إِلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ مَرَّ فِي خَطُوطَاتِ مَهْمَةٍ فِي تَسْجِيلِ أَسْلَوبِ حَيَاتِهِ وَأَهْمَمِ الْأَحْدَاثِ الَّتِي مَرَّ بِهَا ، وَتَدوِينِ الْمَعْرِفَةِ وَالِّمَوَاضِيعِ الْمُتَوْسِعَةِ مُثْلَّ : الْأَسَاطِيرُ ، وَالْفَنَّاكُ ، وَالْقَوَاعِنُ ، وَالشِّعْرُ ، وَالْقُصُصُ ... إلخ .

الْمُتَحَدِّثَاتُ هَذِهِ الْمَوَادُ الَّتِي حَفَظَتْ بِأَمَاكِنٍ مُلْحَقَةٍ بِالْمَعَابِدِ وَالْأَدِيسَرَةِ ، سَمِّيَتْ بِالْخَرَائِسَ (وَلَيْسَ الْمَكْبَتَةُ كَمَا تُسَمِّيُ الْيَوْمُ) . جَمِعَتْ فِيهَا السَّجَلَاتُ الإِدَارِيَّةُ وَالْوَثَائقُ وَالْعَقُودُ التَّجَارِيَّةُ وَالْمَلاَحِمُ الَّتِي عَكَسَتْ مِنْ خَلْلَاهَا النَّطُورَاتُ التَّوْعِيَّةُ وَالْكَمْيَّةُ لِلْمَجَامِعِ الَّتِي عَاشَتْ فِي تِلْكَ الْفَرَرَاتِ الْقَدِيمَةِ وَغَنَّطَتْ الْمَعِيشَةَ لِلْإِنْسَانِ .

كَشَفَتْ الْمَخْرِيَّاتُ مِنْ قَبْلِ الْبَعْثَاتِ الْأَجْنبِيَّةِ لِلْأَثَارِ وَاللَّهَجَانِ الْوَطَنِيَّةِ عَنْ هَذِهِ الْأَمَاكِنِ ذَاتِ الْمَوْقِعِ الْمُهِمِّ مِنَ النَّاحِيَّةِ التَّارِيَخِيَّةِ الَّتِي يَعُودُ تَارِيَخُهَا إِلَى النَّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الْثَّالِثِ ق.م. .

زَخَرَتْ حَضَارَةُ وَادِيِّ الْرَّافِدَيْنِ بِالْفَقَادَةِ وَالْمَعْرِفَةِ لِلْعُلُومِ وَالْآدَابِ وَقَدْ شَهَدَتْ بِذَلِكَ الْخَرَائِسِ الَّتِي اكْتَشَفَتْ بِالْتَّنْقِيبِ فِيهَا مِنْ قَبْلِ الْمُخْتَصِّينَ بِالْأَثَارِ مِنْ عَدَدٍ بِلَادَانِ مُثْلِّ اِنْكَلِتْرَا وَفَرْنَسا وَإِيطَالِيا .

كانت المكتبات في وادي الرافدين عبارة عن دور المسجلات للسموريين والبابليين والآشوريين ، تعددت أنواعها حتى أصبحت خمس مكتبات حسب مواضعها هي :

- أـ - مجموعة الألواح الخاصة بأسماء الملوك والأنساب .
- بـ - مجموعة الألواح الدينية .
- جـ - وثائق وسجلات للعقود التجارية .
- دـ - الألواح الدينية .

هـ - المكتبة الخاصة بتدريس النسخ والكهنة وسميت بالمكتبة المدرسية .

أول ما عثر عليه من هذه المجموعات مكتبة كيش التي وجدت في معبد كيش ، هذه المدينة العريقة (كما ذكر في حزائن الكتب القديمة للمؤرخ كوركيس عواد) ، عثر على مجموعات أدبية من الرقم الطينية في أحد تلول مدينة كيش من قبل المنقب الشهير لنكدن عام ١٩٢٤ . ومن خلال التنقيب عثر أحد العمال على وثيقة تخارية يعود أصلها إلى عهد نبوخذنفر . والخزانة الأساسية ، تقع تحت مبان كبيرة وقدية منذ العصور البابلية ، وهي تعود إلى عصر إيسن (ISIN) وجمهوري . كانت الألواح التي وجدت تعكس المواضيع الخاصة باللغة وعلوم التحو ، والتوصوص المدرسية ، وجداول العلامات الكتابية . رتبت في أوان فخارية وفق ترتيب خاص بالمواضيع .

خزانة الوركاء :

تعد هذه الخزانة التي عثر عليها في مدينة الوركاء أقدم الأماكن الأثرية ، اكتشفت فيها الكتابة المسмарية قبل أربعة آلاف سنة ، وهي من المدن السومرية الضاربة في القدم إذ يرجع تاريخ تأسيسها إلى الألف الخامس قبل الميلاد ، كانت من أجمل المدن التي اشتهرت في العهد القديم والتي كانت مكرسة للإلهين « آنو » و « آنانا » حيث يقع في وسطها معبد « أي-انا » أي بيت السماء . القسم الأول خاص بالمعابد للة آنانا السومرية المعروفة باسم عشتار ، والقسم الثاني سمي كلابا . وجدت الألواح الطينية في الوركاء وهي من أقدم الألواح التي كتب عليها بالخط المسماري (الكتابة المسмарية) كانت تتألف من ٢٥٠٠ مقطع أو كلمة .

بدأت الكتابة على هيئة صور للأشياء المراد تدوينها وسميت بالتطور الصوري الذي استعمله السومريون للتعبير عن لغتهم المقطوقة Syllabigique ، احتوت هذه الخزانة على السجلات الملبية بالتعاليم الدينية والأدبية ، ووثائق إدارية وقانونية وتجارية ودينية . عشر عليها من قبل بعثة ألمانية في سنة ١٩٣٩ والتي يعود تاريخها (إلى من أقدم العهود التاريخية وحتى العهد السلوحي) .

خزانة نينوى :

تعد خزانة نينوى أقدم خزانة ملوك في العراق وأشملها ، موضوعاً لمدينة نينوى (قبالة مدينة الموصل شرقي دجلة) لها تاريخ حافل وعدت من العواصم المهمة للاشوريين وبخاصة الملك الآشوري « آشور بانيبال » الذي اهتم بجمع المواد ووسعها ، الذي دام حكمه ٤٢ اثنين وأربعين سنة (من سنة ٦٦٨ - ٦٢٦ ق.م) .

كان يهتم هذا الملك بالعلوم والآداب ، وفك الخطوط والحكایات والأساطير ، وكما سجل في اسطوانة حول أخبار آشور بانيبال جملة هي :

« أنا آشور بانيبال ، فقد اختررت في قصرِي حكمه نبو ، واستواعت ما في الألواح المدونة ، وكل ما في الألواح الطين من خفايا ومشاكل ». اهتم بنفسه في تقليل المعرفة وأشرف على النسخ ، على عكس ساقيه الذين كانوا منصوريين في الغالب إلى شؤون الحرب توسيعاً لملوکهم ، أو تشيد القصور والمباني الفخمة ... إلخ .

امتازت الألواح في هذه الخزانة بتنوعها من علم وأدب ودين ، وكانت مواضيع السجلات هي في الرسائل والتاريخ والسحر والحو والشعر والقانون ، والفلك ، والجغرافيا ، والطب والتاريخ الطبيعي والأساطير والتقصص كقصة الخلق ، وقصة الطوفان .

باختصار كانت هذه الخزانة بمثابة دائرة معارف شملت أغلب العلوم بلغت أحجامها مثل $\frac{15}{8} \times \frac{8}{8} \times \frac{1}{8}$ أو $\frac{15}{8} \times \frac{7}{8} \times \frac{7}{8}$ إلخ .

ربت هذه الألواح موضوعياً ، وختمت بختم خاص ، وجدت نحو ٢٥٠٠٠ ألف لوح مع عدد غير كبير من أوراق البردي ، وصنفت تسبباً ملوكياً عاماً ، ووضعت فوق الرفوف أو في أنواعية فخارية .

اعتمدت طريقة الإعارة على التنسيق الحسابي ، الذي يعد أقدم وأعظم نسق في التنظيم المكتبي .

احتوت هذه الخزانة على الموضوعات المهمة وأشهرها الألواح الآشئي عشر التي تصور ملحمة كلكاش . بالإضافة إلى المواضيع الأخرى مثل :

- ١ - دائرة معارف لقواعد اللغة الآشورية والبابلية .
- ٢ - جدول بأسماء ضباط آيوتيموس .
- ٣ - سلسلة تاريخ مملكتي بابل وآشور .
- ٤ - معاجم جغرافية .
- ٥ - مجموعة مستندات احصائية .
- ٦ - قائمة بأسماء العلم التي كانت تستعمل في البلاد .
- ٧ - مقالة عن الحقوق الخاصة .

كتب جميع هذه المواضيع أو يلولا على ألواح بشكل كتاب كل واحد يحتوي على عدة ألواح وبمسلسل وترقيم أو كتابة الكلمة الأخيرة في أول النوح التالي لربط الموضوع وهكذا .

خزانة نبور Nippur :

كانت هذه المدينة تقع بمنحو مائة ميل جنوب مدينة بابل ، على ضفاف نهر الفرات قرب بابل . اكتشفها مجموعة من العلماء الأمريكيين في سنة ١٨٩٨ ، حيث يرجع الفضل للعالم هيسن الذي اكتشف خزانة نبور التي ضمت كل ما كان يدرس في مدارس ذلك العصر من المواضيع المتعددة . وأهم ما اكتشف فيها الألواح الرياضية والألواح علم الفلك والطب والتاريخ واللغة ، يعود تاريخ هذه الخزانة إلى الفترة (٢٧٠٠ - ٢١٠٠ ق.م) ، كانت عبارة عن جزء من المعبد الرئيسي أهم ما وجد فيها لوحان مهمان هما أشهه بفهارس قديم (قائمة الكتب) كتب على أحدهما اثنان وستون عملاً أديباً . أما الآخر فهو موجود في متحف اللوفر والذي يتضمن ثمانية وستين عنواناً . كان الموضوع الرئيس لثلاثة وأربعين عنواناً متشابهاً في موضوع الحكمة

ومواضيع مهمة أخرى مثل التعليم وأهم هذه الألواح المحداول التارikhية التي تذكر أسماء الملوك وما جرى من حوادث مهمة في السنة مثل البيع والشراء ، حداول الضرب والحساب ، وجدار الالفاظ المزدادة في اللغة ، والأسماء الحغرافية للنجاشي والبلدان وأسماء الأحجار والنباتات ، والمواد التي تصنع من الخشب .

نلمت هذه الألواح المصوّعة من الطين غير المطبوخ فوق الرفوف الخشبية أو الطينية التي كانت تبني بناً بدائيًا بالآجر إلى علو نحو من عشرين امتار من الأرض وعرض الرفوف كان يبلغ نحو قدم ونصف القدم .

هذه أشهر أنواع دور السجلات والمكتبات في العراق قديماً ، وهي من بين عشرات المخازن المليئة بالألواح المسماوية المليئة بالمواضيع في الحالات المهمة كافة التي حفظت كذلك المعرفة البشرية من علوم وثروة لغوية ومعاجم بأسماء النباتات والحيوان والطير مثل خزانة تل حرمل التي تبعد ستة أميال من شرقي بغداد . يمكن ذكر بعض من هذه المخازن القديمة وهي :

- ١ - خزانة آشور .
- ٢ - خزانة نوزي .
- ٣ - خزانة الجمجمة .
- ٤ - خزانة سبار .
- ٥ - خزانة مدينة أدب .
- ٦ - خزانة دريهم .
- ٧ - خزانة تلو .
- ٨ - خزانة المدائن .

المكتبات في وادي النيل

(مصر)

يعود تاريخ المكتبات القديمة في مصر إلى الألف الثالث ق.م ، كان معظم موادها لفائف البردي القيمة والأثرية عكست حضارة وادي النيل من صور ورسوم أو نقش في تصوّص فلمنية بين القصور والمعابد أو القبور من خلال مواضيع عديدة وأهمها المعاهدات والقوانين والأنظمة الخاصة بالأسر الحاكمة والملوك والطقوس الدينية والحوادث التاريخية والاجتماعية والطبع ولعبت دوراً كبيراً في المعرفة الأثرية التي راققت نابليون بونابرت أثناء غزوه لمصر في نهاية القرن الثامن عشر . عشر على بردبات كتب عليها بالهieroغليفية القديمة ومواد المكتبات القديمة التي كانت موجودة منذ زمن الملك خوفو (٢٧٢٢ - ٢٧٠٩ ق.م) ، ومن أهم ملوك الأسرة الرابعة ، ابنه خفرع الذي خلفه في الحكم ، وازدهرت المكتبات أيضاً في عصر الملك رمسيس الثاني (١٢٣٥ - ١٢٠٠ ق.م) . كانت هذه المكتبات التي تعكس موادها جوانب الحياة الثقافية والتاريخية ، ملحقة بالقصور الخاصة بالملوك والمعابد .

مكتبة معهد طيبة :

كانت من أشهر وأهم المكتبات مكتبة الفرعون خوفو والفرعون خفرع في الألف الثالث ق.م يعود تاريخها إلى الأسرة الثالثة (٢٨٠٠ ق.م) عدّت مكتبة معهد طيبة الخاصة للفرعون رمسيس الثاني يعود تاريخها إلى القرن الثالث عشر ق.م ، سميت حينذاك (محوزن طب العقول) ، مهمة لمسئوليها بأنها كانت تقع في مركز الدولة المصرية الوسطى ، والثانية أنها جمعت الفيافي المهمة للمواضيع الاجتماعية والفكريّة وخاصة بـ ملوك ورجال الدين ، وأشرف عليها أمين مكتبة سعي (مي أمون) وهو شخصية مهمة في القصر الملكي والمعبد الدينين .

ربت هذه الفيافي البردية مطبوعة ومحفوظة في حرارات معونة وبصنفة على الرفوف ، عشر في إحدى هذه البرديات على قصة وصور للستباد البحري ، بالإضافة إلى عدد كبير من القصص القصيرة والأساطير كتبت على درجة كبيرة من التشويق ومزج الخيال بالواقع .

درّت هذه المكتبة في القرن الرابع ق.م عند دخول الفرس إلى مصر .

مكتبة الإسكندرية

كانت ولا زالت مكتبة الإسكندرية تعدّ من أهم المكتبات القديمة ، من عدة جوانب امتازت بها منذ بداية إنشائها وحتى عصرنا الراهن ، إنشاؤها يطلق موسس سور (Ptolemy Soter) في عهد أول ملوك أسرة خلفاء الإسكندر وسمى بطليموس الأول الذي توفي عام ٢٨٣ ق.م .

جمعت هذه المكتبة ما جُلِّب من اليونان انتاحات فلسفية وأدبية وأساطير بالإضافة إلى موضع آخرى مثل العلوم والأداب .

أكمل بطليموس الثاني ما بدأه والده في نقل التراث اليوناني والحضارة العربية إلى بلاد مصر . وعمل على تشجيع العلم والعلماء لفترة من حياته (٢٤٦-٢٨٥ ق.م) حيث استدعى أكثر الأدباء والعلماء والكتاب، من خارج مصر ، وتسليم ما لديهم من كتب إضافية لتزويد المكتبة ويدفع في الأموال من أجل زيادة محتوياتها حتى بلغ المجموع ٤٩٠٠٠ لفافة بردية .

أصبحت المكتبة مركزاً للتعليم الهليني حتى يحيى بطليموس الثالث ق.م . بالإضافة إلى ذلك أصبحت مركزاً للنشاط الفكري وأكاديمية للبحث العلمي ومتقنى الفلسفة والعلوم والأدباء . حيث أصبحت في المستوى نفسه لمكتبة نيسو في العراق رغم الفترة الزمنية التي كانت تفصل بينهما وهي أربعة قرون . وتميزتا في عدة جوانب أوها أنهما كائنان ذو طابع عالمي من ناحية جمع المصادر ونقل الثقافات والترجمة . ووجودهما في الفترة الملكية ، وإدارتها من قبل مشرفين عليها ، والنظام الذي كان يرتب بها المواد والمكتبة . ولكن توحد ميزة واحدة تختلفان فيها عن الأخرى وهي أن مكتبة الإسكندرية أكثر محتوياتها كانت من لفائف البردي ، أما مكتبة نيسو فكانت أكثر محتوياتها من الألواح الطينية .

محتوياتها :

كانت تحتوي على خاميع من لفائف البردي التي كانت مكتوبة باللغة الهيلوغليفية ، حتى وصل مجموعها إلى ٤٩٠٠٠ لفافة بردية . كانت هذه المحتويات عبارة عن مجموعتين الأولى وهي اللافافات البردية المفردة التي تضمنت مؤلفاً واحداً أو موضوعاً واحداً وعددها ٩٠٠٠ لفافاً نفسها التي حفظت في القسم الثاني بينما المجموعة الثانية وهي التصوص الطويلة والملاحم والمؤلفات والترجمات حفظت في القسم الرئيس من قصر الملك .

مكانتها :

كانت مقسمة على مجموعتين رئيسين وهما :
القسم الرئيس وهو المكان الأكبر حيث كان ملحقاً بقصر الملك في حي البروكيوم في مدينة الإسكندرية التي احتوت على أهم وأحسن المؤلفات ، والقسم الثاني أو الأصغر وهي التي أنشأها بطليموس الثاني حفظت في معبد سُمي (Scrapis) .

إدارتها :

أشرف على إدارة هذه المكتبة أدباء وشعراء وشخصيات اجتماعية وثقافية مرموقة أو لهم التحوي العظيم زينودتس لافيسوس Zenodelus of Ephosu ، قام بترتيب الكتب ونشر الأدب اليوناني في مؤلفه المشهور عن هوميروس (Homerus) ، وأسهم العالم أريستوفاني البيزنطي Aristophanes of pyzontium في مجال علم المعاجم ، وأيوتونيس الروديسي ، وأخيراً أشرف عليها الشاعر والعالم اليوناني الأصل كاليماسخوس Callimachus الذي فهرس وصنف المجموعات المكتسبة باللغة (٥٠٠، ١٠٠) ألف لفافة بردية أي في مجال الفهارس .

سميت هذه الفهارس (Pinakes) استطاع أن يفهرس ^١ محتويات هذه المكتبة

في (١٢٠) مجلداً . كانت اللفافات البردية عبارة عن مؤلفات متعددة المواضيع أو مفردة الموضوع . ونسخ قديمة من المحفوظات ، وعدد كبير ترجم من اللغات الأخرى . بالإضافة إلى استنساخ الكثير من مؤلفات الأدباء المتميزة كان من بين المحتويات مكتبة الإسكندرية ، منها مواد مكتبة اسطرو الخاصة ، كان قد أوصى بها إلى أحد تلاميذه ، ثم تشتت فيما بعد ويقال إن القائد الروماني سولا (Solla) قد نقل محتوياتها إلى روما معه .

فهرستها :

رتبت بعض المواد زميلاً ، والآخر رتب أبجدياً حسب الموضوعات أو حسب المؤلفين مع نبذة عن حياتهم أي (ترجمة مختصرة عنه) ثم اتبعها (والمقصود هنا كاليماسخوس) بثُبت مؤلفاتهم ، وصنف كل باب بذكر عنوانه وعدد سطوره . ثم رتب أسماء المؤلفين داخل كل مجموعة بترتيب هجائي . وأضاف البيان الوصفي مع استخدام ضبط مقياس أحجام الحفاظات . مع تقرير مكافأة الناسخ . والترميز على المخطوط كي يسهل العودة إليها . لذا تعد هذه الفهارس الأساس للأعمال البيليوغرافية في العصور القديمة .

كان المدخل الرئيسي للكتاب هو العنوان في المؤلفات الشرقية ، وال موضوع في حالة استحالة اسم المؤلف .

كان نظام التصنيف في علوم المعرفة عند كاليمانوس حسب الطريقة التالية :

- أ - الملائم وغيرها من الشعر .
- ب - الدراما .
- ز - العلب .
- ح - العلوم الرياضية .
- ط - العلوم الطبيعية .
- ي - متواترات .

نهايتها :

تعدد المصادر في ذكرها الطريقة التي انتهت إليها هذه المكتبة ، بعضها ذكر أن العرب قد أحقروها وهذا غير ممكن أو غير مؤكد ، لأن المؤرخ أودوسيوس كتب « أنه في عام (٤١٦ م) لم تكن هذه المكتبة موجودة عند فتح مصر من قبل المسلمين بقيادة عمر بن العاص عام (٤٦٢ م) والمصادر الأخرى تذكر أن نهيتها كانت على أيدي جنود يوليوس قيصر عندما غزا مصر ، وثار المصريون دفاعاً عن الوطن وحماية سواحلهم عام (٤٨ - ٤٧ ق.م) عندما جاء ملك الرومان للاستيلاء على مصر من مدينة الإسكندرية ، فأحرقوا الأسطول المتكون من ١٢٠ سفينة مصرية كانت تحرس ميناء الإسكندرية (وذلك وفق خطوة من أجل الاستيلاء على المدينة) وضعها القائد من أجل عدم استفادة أعدائه من هذه السفن ، وقد اتسع الحريق وأمتد إلى المباني الأبعد من ذلك ، حتى وصل دار صناعة السفن وما حاورها من مبانٍ ، ومن ضمن هذه المباني كانت مكتبة الإسكندرية العظيمة .

أما الجزءباقي من هذا الحريق ، فدرس عام ٣٩١ م . وذلك أثناء تدمير المسيحيين الأوائل للمعبد سيرابيس (Serapis) .

مصادر الفصل الأول

- ١ - تاريخ المكتبات / هيل الفرد : ترجمة شعبان عبد العزيز خليفة . - القاهرة : دار الثقافة ، ١٩٧٣ . - ص ١٩٥ .
- ٢ - المكتبات والصناعة المكتبية في العراق / فؤاد فراخجي . - بغداد : وزارة الاعلام ، ١٩٧٢ . - ٨٦ صفحة : جداول ٤ ٢٤ سم .
- ٣ - مقدمة في تاريخ الحضارات القديم : القسم الأول / طه باقي . - بغداد : دار المعلمين العالية .
- ٤ - من تاريخ المكتبات في البلدان العربية / د. عيسى الجواهري . - دمشق : وزارة الثقافة ١٩٩٢ - ٤١٤ ص ٢٤ سم .
- ٥ - الموسوعة المصرية - تاريخ مصر القديم وآثارها / وزارة الثقافة . - القاهرة : الوزارة ، ١٩٧٨ - جزء ٢ (ص ٦٥٦) : رسوم ٤ ٢٨ سم .

الفصل الثاني

الكتب والمكتبات في الحضارات القديمة

أولاً - الصين :

كما قامت الحضارات الشرقية أو سطبة في أحضان الأنهر الضخمة - دجلة والفرات والنيل ، كذلك فإن الحضارات الشرقية المصرية قامت بدورها ، في وديان الأنهر العملاقة : يانسسة- كيابونغ وهوانغ-فو ، حيث حظيت الكتابة والكتاب باهتمام كبير .

ويرجح أن يكون الصينيون قد بدأوا الكتابة منذ الألف الثالثة ق.م . أي بعد السومريين مباشرة ، مستخددين نظام العقد أولاً ، ومن ثم انتقلوا إلى الكتابة التصويرية ، التي تطورت إلى النظام الكتابي الآيدوغرافي ، الذي لا يزال سائداً في الصين حتى يومنا هذا .

من المعروف أن الصينيين هم الذين اخترعوا الورق ، لكن وصوفهم إلى هذا الاختراع استغرق عشرات القرون ، فقد استخدموه للكتابة أعمود القصب ، وألواح الخشب والأحجار والأواني التحاسية والعظام .

ومن ثم بدأوا استخدام مادة الحرير ، وكانت الكتب المصنوعة من المواد آفة الذكر ، باستثناء الحرير ، ثقيلة الوزن ، أما الحرير فكان يحافظ الشمن ، بالمقارنة مع المواد الأخرى ، وبالتالي فقد كانت الحاجة ماسة للعثور على مادة بديلة تكون أخف وزناً وأقل سعراً ، فكان أن اكتشفوا طريقة إنتاج الورق وذلك في مطلع القرن الثاني الميلادي باستخدام خاء الأشجار والحبال القديمة والحرق وشباك الصيد ، ومن الصين بدأ الورق ينتشر إلى المناطق المجاورة فوصل إلى كوريا واليابان في مطلع القرن السابع ، ومن ثم وصل إلى العرب عن طريق سمرقند ، إبان الفتوحات العربية الإسلامية لبلدان آسيا الصغرى .

ولما كانت الكتابة الصينية باللغة التعقيد ، فقد كان نسخ الكتب صعباً للغاية ومحفوظاً بارتراكاب الكبير من الأخطاء ، ولتلقي ذلك كله بتذكر الصينيون طريقة جديدة

للسخن ، تعد مقدمة لاعتراض الطباعة لاحقاً . حيث كانت النصوص الدينية تقتضى على قوالب خشبية ، ثم تترك في الأماكن العامة ، ليتمكن جميع الراغبين من أحد النسخة المطلوبة .

أما أدوات الكتابة عند الصينيين فكانت في البداية تقتصر على الأقلام المصنوعة من عيدان القصب للكتابة على المادة اللينة ، وفي نهاية القرن الثالث ق.م ، اكتشفت الفرشاة المصنوعة من وبر الخسال للكتابة على الحجر ومن ثم على الورق .

وما سيحدث في أوربا العصور الوسطى من ملاحة للكتب والكتاب ، حدث في الصين في عصورها الكلاسيكية ، فمع تطور الأدب والعلوم ، وظهور وانتشار الأفكار والأراء الدينية والسياسية ، لخلافة لسلك السائدة ، بدأت عملية ملاحة الكتب تتحدد طابعاً بالغ القسوة والصرامة في الصين . ففي نهاية القرن الثالث ق.م أو عز الإمبراطور بحرق كل مؤلفات كونفوشيوس ، باستثناء ما يتعلق منها بالطب والصيدلة والزراعة ، كما أوغر بحريق مئات الكتاب الذين تحرروا على الكتابة ضده ، ولحسن الحظ أن الإمبراطور أمر بترك نسخة واحدة من كل كتاب لإبداعه في مكتبه الإمبراطورية . لكن محتويات هذه المكتبة دمرت أثناء الحريق الذي التهم القصر الإمبراطوري في عام ٢٠٦ ق.م .

و مع سقوط أسرة شين عام ٢٠٧ ق.م ، وقدوم أسرة هان دلت الحياة من جديد في عملية نسخ الكتب ، ونشرها ، ومع توطيد الديانة البوذية شهد إنتاج الكتاب نقرة مهمة وبخاصة في عهد أسرة تانغ .

ثانياً - الهند :

يعود ظهور الكتابة في شبه القارة الهندية إلى الألف الثالثة ق.م . وكانت في بدايتها تتألف من ٢٥٠ إشارة ، تكتب بها النصوص على الحجر والخزف وألواح لنساج ، ومن أهم الآثار الكتابية الهندية القديمة ، التي وصلتنا ، مرامي الملك آشوي ، المنقوشة على الحجر .

ولابد من الإشارة هنا إلى أن الطريقة الرئيسة لانتقال النصوص الدينية والأدبية والعلمية من حبيل إلى آخر كانت المشافهة . فعن طريق المشافهة انتقلت الملام

البطولية الكبيرة المها بها هارتا وراميانا والفيديات ومن ثم المؤلفات التاريخية والمكتب
المقدسة .

وهذا فلم يصل إلينا من الكتب الهندية القديمة إلا القليل ، هذا بالإضافة إلى أن
الهنود كانوا يستخدمون لحاء أشجار التنجيل ، والقشرة الرقيقة لأشجار البيسولا ،
وكلتاهما لا تصمدان في وجه الزمن .

وأما بالنسبة للمكتبات الهندية القديمة فلا نعرف عنها إلا القليل ، وتکاد تكون
قصراً على المعابد وقصور المحکام ، وحتى هذه كانت مجرد مكتبات متواضعة ، إن من
حيث عدد كتبها أو من حيث موضوعات هذه الكتب ، وبالتالي فإن تأثير هذه
المكتبات على تطور المعرفة والأدب ، وعلى المجتمع ككل ، كان محدوداً جداً .

ثالثاً - في الحضارة الفارسية :

ساهمت الحضارة الفارسية القديمة - بدورها - في رفد الحضارة البشرية بالكثير
من المجرات أخاءة في ميدان الكتب والمكتبات . وقد تجلى الاهتمام بالكتب والمكتبات
في الحضارة الفارسية منذ القرن الثالث الميلادي ، حيث أولى ملوك الفرس اهتماماً
كبيراً للعلوم والثقافة وشجعوا المفكرين والفلسفه اليونان على القدوم إلى بلادهم
حاملين إنتاجهم العلمي الغزير ومخاططاتهم الهامة في شتى ميادين المعرفة .

وانتشرت في بلاد فارس المكتبات العامة والخاصة في القصور والمعابد ولدى
بعض العلماء والمفكرين ، كما تأسست المكتبة الملكية الفارسية في طهران ، وقد تميزت
هذه المكتبات بتأثيرها الكبير على التراث الفكري لشعوب الشرقية المجاورة في بلاد
الرافدين والشرقين الأوسط والأقصى ، كما اشتهرت بالتنظيم الدقيق لخزانتها من
كتب وخطوطات ، حيث بلغت أوج ازدهارها في بداية القرن الوسطى ، بعد ازدياد
احتکاكها بالحضارة العربية الإسلامية وتأثرها وتأثيرها بها .

الكتب والمكتبات عند الأغريق والرومان

لوطنة :

لعبت الثقافتان اليونانية (في جزيرة كريت) والميسينية (في اليونان) دوراً
كبيراً في إرساء الأساس الأولي للحضارة الأوروبية في ميدان الثقافة والفن والأدب ، فقد

كانتا في الطليعة من حيث استخدام الكتابة في أوروبا . وذلك منذ بداية الألف الثانية ق.م . فقد اكتشف في ميسينا وبيلوس آلاف الرقم الطلينية بهذه النسخ من الكتابة ، والغريب أنها كلها تعود إلى سنة واحدة ، مما جعل العلماء يرجحون أن التسجيل كان يتم سنويًا ، وكانت سجلات السنة السابقة تتلف ، لأنها تفقد أهميتها . وهكذا فإننا لا نجد في الحضارة الكريتية - الميسينية مراكز لحفظ الوثائق كما في حضارات الشرقيين الأوسيط والأقصى .

وبالتالي فإن الكتابة في كريت وميسينا كانت ف心血 على تلبية حاجات السلطة المحاكمة ، على عكس ما كان الأمر عليه في مصر أو بلاد الرافدين ، حيث كانت الكتابة تستخدم للأغراض العملية بالدرجة الأولى .

ولما كانت هذه الكتابة تمارس للأغراض البيروقراطية الإدارية فقط ، فإنها لم تعم طويلاً ، وقد انقرضت في القرن الثاني عشر ق.م أي مع نهاية الحضارة الكريتية - الميسينية .

ولم يستطع العلماء فك رموزها إلا في منتصف القرن العشرين ، على يد المهندس المعماري ميشيل فنريشي .

الكتابة اليونانية :

لم يرث اليونانيون حروفهم الجديدة عن أسلافهم الكريتيين - الميسينيين . بل أخذوها عن الفينيقيين . إما في القرن العاشر أو التاسع ق.م . وذلك على يد قدموس الفينيقي ، كما يؤكد هيرودوت في « تاريخه » .

وفي المدن اليونانية شهد انتاج الكتاب تطوراً ملحوظاً ، واتسعت شبكة المكتبات ، على غرار تلك التي ظهرت في الشرق . غير أن انتاج الكتب في هذه المرحلة يقى محدوداً ، وظل انتشاره ضيقاً ، لأن الغرض منه لم يكن البيع ، بل الإهداء إلى الأصدقاء والقراء المهتمين .

وفي القرنين السابع - السادس ق.م كانت توحد مكتبة رسمية أو مركز للوثائق في ميليت ، تضم الكتب باللغة اليونانية أو اللغات الأخرى ، وكان يومنها كبار العلماء وال فلاسفة ، وقد دمرت هذه المكتبة في بداية القرن الخامس ق.م عندما اجتاح الفرس المدينة .

وتدل المعطيات المختلفة على أن المكتبات اليونانية في هذه الحقبة كانت في غاية التنظيم ، وعلى المشابه الكبير بين علم المكتبات اليوناني ونظيره الآشوري - البابلي من حيث طريقة كتابة العناوين وتحديد مصدر المحفوظة وتنظيم الفهارس وتصنيف المواد حسب الفروع العلمية .

ولا شك أن اليونانيين الإيونيين في آسيا الصغرى هم الذين نقلوا إنجازات علم المكتبات الآشوري - البابلي إلى العالم اليوناني ، بفضل احتكارهم بحضارات الشرق الأوسط .

فبعد تدمير مدينة ميليس وغيرها من المدن الإيونية الأخرى ، بدأ نجم آثينا بالصعود ، ولم تثبت أن تحولت إلى حاضرة سياسية واقتصادية مهمة للعالم الهلنستي ، حيث أصبحت قبالة الأدباء والفنانين والفلسفه ، وتحولت إلى مركز كبير لانتاج الكتاب ، وازداد عدد القراء فيها .

وظهر النسخ المختزون ، وباعة الكتب ، وتأسست المكتبات ، غير أن المشافهة ظلت الغالبة على الكتابة كطريقة للتواصل ، ولم يبدأ العصر الذهبي للكتاب اليوناني إلا في القرن الثالث ق.م أي في العصر الهلنستي .

فمع بداية القرن الثالث ق.م راح عدد الكتب المتداولة يزداد باطراد ، وازداد الاقبال على شرائها من قبل المدرسین والمكتبات العامة ، التي لم تثبت أن تحولت إلى أكبر زبون لشراء الكتب ، وتم الانتقال نهائياً إلى التواصل عن طريق الكتابة ، وذلك نتيجة اتساع رقعة الامبراطورية ، بعد فتوحات الاسكندر المقدوني ، وتعدد المراكز الثقافية اليونانية (رودوس ، برغام ، الاسكندرية ، انطاكية وغيرها) .

الكتابة عند الأنتروسكيين :

الأتروسكيون شعب أقام على الساحل الغربي لإيطاليا حضارة من أهم الحضارات في حوض المتوسط ، والتي استمرت من القرن الثامن حتى القرن الثالث ق.م . وقد استخدمو الأبجدية اليونانية في كتاباتهم ، لكن ما وصلنا عن كتبهم قليل جداً ، لأن الرومانين دمروا حضارتهم .

هذا وتدل المعطيات التاريخية القليلة ، بالإضافة إلى المعطيات الأثرية أن إنتاج الكتاب كان متضوراً نسبياً لدى الأنتروسكيين ، وكانت كتبهم في معظمها ذات طابع ديني وسحيقي ، بالإضافة إلى بعض المؤلفات الأدبية والتاريخية .

في روما القديمة :

تأثر الرومان إلى حد كبير بالحضارتين اليونانية والأتروسكية ، حتى إنهم مدینون بكتابتهم للمستوطنات اليونانية في جنوب إيطاليا ، وأثناء الحملات العسكرية الرومانية على المدن اليونانية كان القادة العسكريون يهبون المكتبات اليونانية المغنية .

ومنذ القرن الثالث ق.م بدأ الكتاب اليوناني يحظى بمكانة خاصة في روما ، ثم ظهرت الكتب اللاتينية ، مما أدى إلى توسيع وعمق الثقافة المزدوجة : اليونانية - اللاتينية ، هذه الازدواجية التي تجلت في إنتاج الكتاب وتوزيعه .

وفي البداية لم تكن توجد في روما مكتبة عامة لحفظ الكتب وخدمة القراء ، ولقد راودت هذه الفكرة يوليوس قيصر ، فقرر إقامة مكتبة ضخمة على غرار مكتبة الإسكندرية ، لكنه لم يتمكن من تنفيذ هذا المشروع ، وقد قام صديقه أذنيه يوليون بذلك ، فأسس أول مكتبة عامة في روما في النصف الثاني من القرن الأول ق.م . وفي هذه المرحلة بدأ الكتاب يتحول إلى مظاهر الزيادة والتقليد في قصور الأغنياء . وتطور إنتاج الكتاب ، كما اتسعت شبكة توزيعه .

ومع نهاية العصر الجمهوري وبداية العصر الامبراطوري بدأ « العصر الذهبي » للثقافة الرومانية في عهد الامبراطور الأول أوغسطس ، ففي عهده طرأ تطور كبير على الإنتاج الأدبي والعلمي ، وازداد الاهتمام بمؤلفات الشعراء الكبار أمثال فرجيل وهراس وأوفيد ، مما شجع الناشرين على طرح كميات أكبر من الكتب في الأسواق . وقد قام الامبراطور أوغسطس ببناء مكتبين عامتين في روما ، ثم جاء الامبراطور تراجان ، فبني أكبر مكتبة في روما القديمة ، وفي هذه الفترة ظهر هواة جمع الكتب ، وظهر أدب الرسائل المهم ، مما يدل على أهمية الكلمة المكتوبة في نقل المعارف غير الدولة الرومانية الشاسعة . وعلى الرغم من الأزمة الاقتصادية والسياسية ، التي بدأت تضرر أطباقها في أرجاء الامبراطورية منذ القرن الثاني الميلادي فإن الاهتمام بالكتاب لم يتراجع ، وظل عدد المكتبات العامة في ازدياد متواصل ، كما طرأ تحول مهم على شكل الكتاب ومادته ، وبدأ الانتقال من الكتابة على ورق البردي إلى السرق ، كما أخذ الكتاب يتحول من شكله التقليدي القديم - الثقافة إلى الكراس . وقد استطاعت

الكراسات المصنوعة من الرقوق الصمود في وجه الزمن ، وظلت صالحة للاستعمال في أوربا حتى زمن غوتيرغ .

وفي نهاية العصر الامبراطوري طرأت تغيرات كبيرة على شكل الكتاب والمادة التي يكتب عليها ، فقد كان التقليديون ، جماعة الثقافة الروئية يفضلون لفافات ورق البردي ، بينما كان أنصار المسيحية يفضلون الكراسات المصنوعة من الرقوق ، وفي البداية كانت الكتب المسيحية في منتهي التواضع ، بسبب قلة الإمكانيات المادية ، وما إن استلم المسيحيون مقاليد السلطة في القرنين الرابع والخامس حتى بدأوا إنتاج الكتب الأنيقة حيث تأسست الورشات الفنية لنسخ وطبع الكتب ، في المكتبات والأديرة ، وقد بقيت هذه الورش المنتج الوحيدة للكتاب على مدى ألف عام ، أي حتى نهاية القرون الوسطى .

الكتب والمكتبات في الحضارات الأمريكية القديمة

على الرغم من التطور الكبير الذي حققه شعوب أمريكا الوسطى والجنوبية في المجالين الاقتصادي والثقافي فإنها لم تول الكتاب أهمية تذكر .

فشعوب الإنكا مثلاً ، أسسوا امبراطورية واسعة وبنوا المدن الكبيرة والمحصنة ، ذات المباني الضخمة ، وشبكة ممتازة من المطرق وبرعوا في ميدان الزراعة والفلكل ، لكنهم كانوا يقترون إلى الكتابة المتطرفة ، وظلوا يعتمدون على طريقة المشافهة في التواصل ، بالإضافة إلى نوع بداعي من « الكتابة » يعرف باسم « كوبير » ويعتمد على جبال مختلفة الأطوال والألوان والعقد لكتابه للرسائل القصيرة ، وبعد ذلك « كوبيو » من أقدم الكتابات البدائية ، التي ابتكرها الإنسان .

هذا في بيرو ، أما في أمريكا الوسطى والمكسيك ، حيث سكنت أقوام المايا والأستيك والمستيك فقد ظهرت الكتابات الأكثر تطوراً ، لكن هذه الأقوام لم تتمكن من وضع أسمديات تقوم على النظام الصوتي ، وإن كان المايا قد توصلوا إلى نوع من الكتابة التصويرية المعقدة ، التي يسميهما بعضهم - خط - بالهيروغليفية ، لكن أحداً لم يستطع حتى اليوم فك رموزها ، على الرغم من أن لدينا الآن الكثير من النصوص بهذه الكتابة ، وكان المايا ينفثون النصوص التاريخية والدينية على التماثيل الحجرية

والنباني العامة ، كما استعملوا الخشب والصدف ، أما كتبهم فقد دونوها على الورق ، الذي كانوا ينحوونه بأنفسهم من الخشب منذ القرن التاسع . وقد وصلتنا من مخطوطات المايا القديمة ثلاثة تعرف إحداها باسم مخطوطة درسدن ويبلغ طولها ٦ أمتار ، وتحتوي على ٤٥ صفحة .

والواقع أن المكتشفين الإسبان والمبشرين قد دمروا الكثير من حضارة هذه الشعوب ، وكان مصير الكتب هو الأسوأ . كونها مصدر « خطير » كبير من وجهة نظر المبشرين . فكانت تحرق وتتلف ، بمحنة أنها ملأى بـ « المغافلات والأكاذيب الباطلة » .

لكن هذه المؤلفات كانت في الواقع من أروع ما أبدعه هذه الأقوام ، وضمته المعارف الفلكية والرياضية ، التي تراكمت لديها على مدى ألفي عام بالنسبة لشعب المايا .

ولم تكن كتب الأستيك بأفضل حظاً من كتب المايا . فقد دمرها المبشرون ، ولم تكتب الحجاة إلا للقليل منها ، علماً أن شعب الأستيك كان يتميز بإنتاج غير للكتاب . وكان أبناؤه يذهبون إلى المدارس ، وكانت كتب الفال منتشرة على نطاق واسع ، حيث كان رجال الدين يعودون إليها قبل اتخاذ أي قرار منهم .

ولم يكن الأسبان وحدهم الذين أعدموا كتب الأستيك ، بل إن الأستيك أنفسهم قد ساهموا بذلك . حيث أمر الإمبراطور إنزكواتيل بحرق الكثير منها ، بمحنة أنها تقدم معلومات خطيرة عن أصل هذا الشعب وثقافته .

مواد الكتابة وأدواتها :

تعددت مواد الكتابة واعتنقت لدى الأغربيين والرومان والصينيين والهنود خلال العصور القديمة . فقد استعملوا ورق البردي والرقوق كما استخدموا الحجر والمعدن ولحاء الشجر وسعف النخيل والمعاج والرجاج والطين المشوي والرسيج وألواح الشمع ، وقد حظيت ألواح الشمع باهتمام واسع ، وعلى ذلك تدل الألواح الكثيرة التي اكتشفت في المدن اليونانية والرومانية القديمة ، كما كتب اليونانيون على قطع الأواني الفخارية المكسورة ، إلا أن هذه القطع الفخارية لم تكن ملائمة لكتابة النصوص

الطوبلة ، بسبب ضيق مساحتها ، ولكنها كانت رخيصة إن لم نقل مجانية ، ولم يقتصر استخدامها على اليونان ، بل واستخدمت في مصر زمن الفراعنة و البطالة والمعصر الروماني . حيث تجد عليها تصوحاً متنوعاً بدءاً من الأشعار القصيرة ، وانتهاءً بالوصفات الطبية باللغة المصرية المقدمة أو اليونانية وغيرها .

وفي القرن الثالث ق.م بدأ استخدام القطع الفخارية لتدوين الوثائق الرسمية والصلوات والرسائل والاتفاقات التجارية ، ولتعليم الأطفال مبادئ الكتابة في المدارس ، وقد ظل الأقباط المصريون يستخدمون هذه المادة الجمانية في الكتابة حتى فتح العرب لمصر .

ومن بين مواد الكتابة الأخرى جلد الثعبان ، وشرايين الذهب والفضة والرصاص . ويعد الرصاص ملائماً جداً للكتابة ، فهو معدن ليس مما يساعد على الكتابة بسهولة ، وعلى طيه حسب الحاجة . هذا بالإضافة إلى متانته وإلى المزايا السحرية التي كان يوصف بها ، وهذا كان اليونانيون والأتراسيكيون والرومان يستخدمون أوراق الرصاص لتسجيل الإشارات السحرية .

وبالإضافة إلى الرصاص فقد استخدم البرونز لكتابه الوثائق المهمة والقوانين والتصووص الدينية .

على أن ورق البردي كان مادة الكتابة الأهم والأكثر استعمالاً في العالم اليوناني - الروماني . وحسب كتاب بلين الكبير «التاريخ الطبيعي» فإن هذا الورق يُؤخذ من نبتة تنمو في المستنقعات وبخاصة في دلتا النيل ، حيث يصنع من سوق تلك النبتة الموجودة تحت الماء ، والتي قد يصل عرضها إلى عرض يد الإنسان ، بطول قد يصل إلى المتر . ومن خلال عملية اللصق كان يمكن صنع شرائط يتراوح طولها بين ٦ - ١٠ م ، وقد يصل طول الشريط إلى أكثر من ٤٠ م .

وكانت الكتابة على البردي تتم على شكل أعمدة على طول الشريط ، وتوصل بعضها من اليسار إلى اليمين . وكانت تستعمل أكثر من لفافة للكتاب الواحد ، إذا ما دعت الضرورة .

هذا ويعود استخدام ورق البردي إلى الماضي البعيد ، وأقدم النماذج المحفوظة في مصر تعود إلى نهاية الألف الرابعة ق.م .

فقد استخدمه الفينيقيون في نهاية الألف الثانية ، أما الآشوريون فاستخدموه منذ القرن الثامن ق.م ، وبعد ذلك يقرن أو فرنين بدأ اليونانيون استخدامه ، ومن اليونان انتقل إلى إيطاليا ، حيث أصبح يستخدم في روما على نطاق واسع خلال العهدين الجمهوري والامبراطوري . وكانت مصر أكبر متاح ومصدر هذه المادة الخامسة ، وقد وصلتنا من العهدين اليوناني والروماني النصوص المكتوبة على ورق البردي .

غير أن نوعاً آخر من الورق بدأ ينافس البردي ، إنه الرق ، الذي يعد من أهم مواد الكتابة في العصر القديم . وللواقع أن بداية استخدام الجلد في الكتابة تعود إلى حضارات الشرق الأوسط ، حيث عثر في مصر على أقدم نص مكتوب على الجلد ، ويعود إلى القرن الخامس عشر ق.م ، وفي بلاد الرافدين بدأ استعمال الجلد في القرن التاسع ق.م ، ومن ثم استخدمه الفينيقيون واليونانيون والرومانيون .

وفي العصر المتوسط اكتشف في مدينة برغام أسلوب جديد لمعالجة الجلد ، ومن هنا اشتقت تسمية الرق - برغامين ، نسبة إلى مدينة برغام ، وذلك في القرن الثاني ق.م ، بعد أن أوقف المصريون تصدير ورق البردي إلى هذه المدينة ، ونتيجة الطلب المتزايدة للمكتبة الملكية ، وبسبب عدم التنظام وصول ورق البردي من مصر .

لكن الرق كان يكلف كثيراً ولا يمكن أن يتبع بالكمية المطلوبة لخطفية الحاجة المتزايدة ، ولذا فقد ظل عاجزاً عن منافسة ورق البردي ، إلى أن جاءت المسيحية ، فبدأت مرحلة ازدهار الرق ، إذ كان المسيحيون يفضلونه على ورق البردي ، نظراً لثباته . ومع انتشار الرقوق بدأ الانتقال بالكتاب من شكله القديم - اللقافة ، إلى شكله الجديد - الكراس . وقد استمر هذا الانتقال لفترة طويلة ، ففي روما ظهر الكراس في القرن الأول الميلادي ، لكن اللقافة ظلت سائدة حتى القرن الثالث . ولم يتمكن الكراس من إزاحة اللقافة إلا في القرن الرابع الميلادي ، وذلك نتيجة العادة والتقليد أكثر منها نتيجة الأفضلية .

ومع مرور الزمن بدأت تتحلى ميزات الكراس وتتفوّقه على اللقافة : ففي الكراس يمكن أن تدور الكتابة على الوجهين ، كما يمكن أن تتحلى النصوص القديمة وتكتب مكانها نصوص جديدة ، هنا بالإضافة إلى سهولة حمل الكراس وسرعة العثور

على الصفحة المطلوبة ، وإلى سهولة الترتيب على الرفوف ، ومهما يميز الكراس أيضاً إمكانات تزيينه بالرسوم بشكل أسهل .

وبعد غلبة الكراس بدأ الكتاب يأخذ ملامح فاخرة ، من حيث تجليده ، وتزيين غلافه بشرائح الذهب والفضة والأحجار الكريمة .

بقي أن نشير إلى أدوات الكتابة ، فعلى ألواح الشمع كانت تستخدمن الأقلام البسيطة ومن ثم المزينة والمذهبة .

وعلى ورق البردي والورق استخدمت الأقلام المصنوعة من الفصب ، ثم استخدمت الأقلام المعدنية (البيرونز والفضة) وريش الطيور ، وذلك باستخدام الحبر الأسود والأحمر .

الفصل الثالث

الكتب والمكتبات في الحضارة العربية الإسلامية

آ - العصر الجاهلي :

كانت بلاد العرب أكبر أشباه الجزر في العالم ، يبلغ أكبر أطوالها ١٤٠٠ ميل وأكبر عروضها ١٢٥٠ ميلاً . وهي من الوجهة الجيولوجية امتداد للصحراء الكبرى ، وجزء من الأقليم الصحراوي الرملي الذي يمتد إلى صحراء حوبى مترافقاً بلاد فارس . وببلاد العرب هضبة واسعة ترتفع على مسافة ثلاثة ميلات من البحر الأحمر ارتفاعاً فجائياً إلى ١٢٠٠ قدم ، ثم تحدُّر نحو الشرق انداراً سهلاً في أرض جبلية جرداء حتى تصل إلى الخليج الفارسي .

عام ١١٥ ق.م قامت مملكة صغيرة في الجنوب الغربي من بلاد العرب هي مملكة الحميريين ، هاجمت مملكة سبأ ، وغلبتها على أمرها .

وكما وجد على نقش بابلي يعود تاريخه إلى ٢٣٠٠ ق.م اسم مملكة سبأ في بلاد اليمن . والخليج ملك سبأ مأرب عاصمة لهم ، ونخاضوا المخروب وأنشؤوا أعمالاً عديدة منها سد مأرب ، وشادوا الخصون ، وفي القرن الثاني ق.م عبر بعض الحميريين البحر الأحمر واستعمروا بلاد الحبشة ونشروا الثقافة السامية بين أهلها الزنوج ، كما دخلوا فيها كثير من الدم السامي (يطلق هذا المصطلح على سكان بلاد ما بين النهرين أي العراق ، وسوريا ، وفلسطين ، وببلاد العرب ، والسكان العرب في أفريقيا) . اشتهر العرب في هذه الفترة بالتجارة وخصوصاً في مصر والجزريرة العربية .

كان خمسة أساسات السكان بدؤاً وحلاً ، يشتغلون بالزراعة والتصفيق بالصر والشجاعة .

كان العرب في الجاهلية مولعين بفصاحة اللسان ، وصحة الكلام ، وإلقاء الشعر ومولعين باللغة العربية ويقتدونها في خطبهم وإلقاء الشعر ولكنهم لا يعرفون القراءة والكتابة ، ويعبدون الأصنام ، ولهم مشاكلهم القبائلية .

لذا يمكن تعريف الجاهلية : بأنه اسم أطلق على أحوال العرب قبل الإسلام لانتشار الموثنية وعبادة الأصنام ، وتفشي العادات في تلك الفترة . ولم يعرف عن تلك المرحلة إلاً ما قبل ظهور الإسلام بحوالي قرن ونصف القرن .

وبعد ما كتب عن الجاهلية بالإضافة إلى الأحاديث المروية في المكتب العربي على مصادر وموارد عديدة ساعدت المؤرخون والمستشرقون على تدوين هذه المرحلة وهي :

- ١ - النقوش والكتابات .
- ٢ - التوراة والتلمود والكتب العبرانية الأخرى .
- ٣ - الكتب اليونانية واللاتينية والسريانية وغيرها .
- ٤ - المصادر العربية الإسلامية .

وكانت الحالة الأدبية في العصر الجاهلي تعتمد على الرواية والرواية وذلذلك ينقل الأخبار من شخص إلى آخر ، وهم الذين ينقلون الأحداث أو الأمثلة أو الشعر عن آشخاص آخرين ويعطي الأمثلة والأسماء للتتويج مع دلالات مرحلية وتاريخية أو مناجية لإثباتها زمنياً .

والموضوعات التي دونت في العصر الجاهلي عديدة وحسب ما مرّ به المجتمع وهي العهود والقوانين للتحالف والصلح بين المجتمعات .

كذلك العقود والمسكوك التجارية ، وبعض الكتابات الدينية والأشعار التي كانت القاعدة الأساسية للرواية الشفهية بين الأفراد وأخيراً الرسائل .

ومن أشهر ما دون فيه من أحداث وظواهر عايشت تلك الفترة هي ما قيل من أشعار وأجودها التي كانت تقال في سوق عكاظ وبخاصة في المباريات التي تقام بين القبائل في كل يوم تقريراً ولددة شهر كامل هي تلك الأشعار التي سميت بالمدحيات والتي احتفظ فيها الملسوك والأسراء . ولكن العرب كانوا يسمونها بالملقات لأن القصائد الفائزة كانت تكتب على الحرير المصري باحرف من ذهب وتعلق على جدران الكعبة في مكة ، وهي سبع قصائد يرجع تاريخها إلى القرن السادس الميلادي كذلك كانت هناك مصادر أخرى هي :

- ١ - المفضليات .

- ٢ - ديوان الحماسة لأبي تمام .
- ٣ - ديوان الحماسة للبحوري .
- ٤ - كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة .
- ٥ - مختارات ابن الشحروري .
- ٦ - جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي .

ب - نشأة الخط العربي وتطوره :

لا يدّ من ذكر أنه كانت تسود الأمية بين قبائل قريش ولم يعرف القراءة والكتابة سوى بضعة عشر من الأفراد . حيث اعتمد العرب القدامى على الحفظ والذاكرة في تعلم القرآن الكريم والحديث الشريف ، والرسول نفسه كان أمياً ، ونكتة منع كل ظواهر التحلف من عبادة الأصنام والتحريم والسحر ، وأمر بالتعلم والمعرفة الواسعة .

وما ساعد على تطور الحالة البدائية هذه وجود ثقافات ولغات محيطة بالإحساس إلى وجودها في المناطق مثل سوريا وبلاط الرافدين ومصر وبلاط فارس مثل اليونانية والسريانية والفارسية والقبطية والرومانية .

نشأ الخط العربي في سنة ٥١٢ م في المنطقة الجنوبيّة من بلاد الشام وفي شمال الجزيرة العربية وانتشر في الأصل من الخط النبطي الذي كان هو الآخر مشتق من الخط الآرامي وانتشر في بلاد الشام والعراق بعد أن هيمنت الثقافة اليونانية والفارسية في العراق ، اكتمل الخط العربي في أوائل القرن السادس الميلادي .

بعد أن انتشر العرب في الأقطار وفتحهم لأفريقيا والأندلس تطور الخط بخاصة في عهد العمران ولاسيما مدينة دار السلام (بغداد) وتنوع في عدة مجالات هي : أولاً: الأماكن ، ثانياً الأقلام ، والوظائف ثالثاً مثلاً الجليل ، الثنين ، النصف ، المتننم ، الدقيق ، الرابع ، السادس .

وسمى في البداية الخط المسكي ثم الحجازي ثم الكوفي . وهو أكثر الخطوط شبهًا بالخط النبطي وكانت مدينة الكوفة مرکزاً له . كانت له ثلاثة أشكال وذلك حسب المادة التي تكتب بها وهي الكوفي اليابس والكوفي اللين وكوفي المصاحف وتنوع الخط

الكوفي إلى نحو مائتين نوعاً ومن أشهرها : المحرر ، المشعر ، المربع ، المدور ، المصلع ، والهندسي ، وذكر الدكتور غوستاف لوبيون في كتابه حضارة العرب « أن للخط العربي شأنًا كبيراً في الرخافة » .

أما حسب الأماكن مثلًا :

١ - الخط الكوفي : وهو ثلاثة أنواع للمصاحف وهي : المائل - المتشق - المحقق .

٢ - الخط المغربي : وهو مشتق من الخط الكوفي .

٣ - الخط السوداني .

٤ - الخط الديوراني : وهو الخط الذي ابتكره العثمانيون واستعمل لكتابة الرسائل والسجلات الرسمية والكتب ، وكتب بطراز خاص عند كتابة الرسائل وخصوصيات الحكام والأمراء .

وأول من وضع قواعده هو الخطاط إبراهيم متيف وكتب بالقلم القصبه بعرض أوسع عند القبط أي القلم .

٥ - الخط الهندي .

٦ - الخط السمرقلندي .

كانت هناك خطوط أخرى حتى بلغ عدد الأنواع هي إحدى عشر في زمن العباسيين مثل خط المصاحف ، خط الرفعة ، خط النسخ ، خط التعليق ، خط الإجازة .

أما الخط العربي لم يكن بهذه الحالة ما عليه اليوم ، فقد كان غير باللغ الجودة والإتقان لما كان فيه العرب من الجاهلية . حتى تطور مع مرور الزمن وحسب الفترات التي مرّ بها من فترة الرسول ﷺ وكتابة المصاحف الأولى حيث كانت الكتابة غير جيدة ثم الخط بعد أن اقتبس العرب الخطوط من الأنباط والسريان وأمتاز بعدم وجود الحركات والأعجام ، حتى ظهر في الإسلام من وضع لها الحركات وهو أبو الأسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ . الذي وضع القواعد الأساسية للنحو العربي ، وأكملت

بالشكل الذي نعهد اليوم من حروف هجائية عربية بوساطة (نصر ابن عاصم) و (بيهقي بن يعمر العدواني) في زمن الملك عبد الملك بن مروان .

هذا ويتميز الخط العربي في العهد الأمري بأربع ميزات هي :

١ - الشكل حيث اتخذ شكلاً جديداً .

٢ - الأعاجم وهي وضع التقىط بعد أن كانت الحروف عالية منه .

٣ - ظهور النسخ أو الخطاطين المشهورين منهم (قطبة الحرر) .

٤ - موقف الخلفاء وتشجيعهم للخطاطين .

وأشهر الخط في العهد العباسي يوجد الخطاطين المشهورين (الضحاك بن عجلان) و (اسحاق بن حماد) .

انتهت جودة الخط في الكتابة العربية للوزير أبيي علي محمد بن مقلة (٢٧٢ - ٩٣٩هـ) و (٨٨٥ - ٢٢٨هـ) وهو أول من قرر للخط معايير يضبط بها . حتى القرن الخامس اشتهر في العراق رئيس الخطاطين (علي بن هلال المعروف بابن البواب) المتوفى سنة ٤١٣هـ . وهو الذي أكمل قواعد الخط وهذب طريقة ابن مقلة ونفعها وأنشأ مدرسة للخط استمرت إلى عهد ياقوت المستعصي .

تنوع الخط في العصر العباسي الثالث وذلك حسب القلم الذي كتب به ، مثل الخط الوراقي أو النسخي هو القلم الجليل أو قلم المختزل أو الاسم الثالث هو المقرمات ويعني به وصف البغيل والفرق عن قلم الجليل إذا نقل الموضع من الكتابة بالقلم المقرمات إلى الجليل لوقع في أكثر من ثلاثة آلاف جزء بعد أن كتب في ألف وثلاثمائة جزء بالخط المقرمات .

كذلك كانت للخطوط ما سمي بالشاعم أو الحشن وما يتصف بالوضوح أو عدمها ، بالإضافة إلى النوع الثاني وهو الكتابة الجافة التي كانت تكتب على المساحد والملياني . وكان الخطاطون لهم صفاتهم وأعمالهم المتميزة ويختلف من شخص لأخر مثل خطاط يترك المسافات الكبيرة بين الأسطر لكي ينتهي من الكتابة سريعاً أو يحصل على المال ، أو بعض الخطاطين يقومون بتصغير المسافة والكتابه الناعمه بالإضافة إلى

مط المخروف أو مدها أو زخرفتها لغرض التجميل . وعدد العرب المخط والزخرفة مما
لهم المكانة الأولى في التدوين والنسخ .

الكتابة وموادرها :

امارات الكتابة في هذه الفترة بالتنوع وذلك حسب المناطق مثلاً كان الأنبياط في
الشمال وكتبوا بالخط النبطي ، وسكان اليمن كتبوا بالحرف المسند ، وبعد رحيلهم
إلى الشام أو العراق عادوا فكتبوا بالخط النبطي أو الخط السرياني الذي ولد منه الخط
العربي .

وأختلفت الكتابة العربية الجنوبية وذلك حسب المناسبات وطبيعة الموضوع .
كان القلم المسند يختلف في أشكال حروفيه اختلافاً كبيراً عن حروفيه اليوم .
واشتقت من هذا القلم ما يسمى بالقلم التجانسي والقلم التمودي والقلم الصفوي . وبعد
قلم المسند أقدم الخطوط بتألف من ٢٩ حرفاً تكونت منها أبجدية العرب الجنوبية وهي
كلها حروف صamente خالية من الحركات أقدم أشكال الخط كان الشكل النسخي
والشكل الكوفي .

المواد التي استعملت في الجاهلية هي الرقوق الأخرى متوعة وأشهرها ما سمي
بالقلم وترجمت من اللغة اليونانية حتى أصبح اسمه كالموس Calmus ويعني به : القصبة
المتحوتة أو الخشبة المغطاة والتي تعمس بناءة ملونة هي المداد أو الحبر ، وكان
لونه على الأغلب أسود أو أحمر .

المادة الثانية هي الحبرة أو الدواة .

أما المواد التي كتب عليها في هذه الفترة أشهرها البرق بالإضافة إلى العظام
العربيضة مثل الأكواب ، وسعف النخيل .

أما أنواع الأقلام العربية وذلك حسب الموضوع الذي كتب مثلاً القرآن كان في
البداية قد كتب بأربعة أقلام اشتقت بعضها من بعض وانتشر بها قطعة الحبر . حتى
أصبح أنواع الخط في آخر الدولة العباسية ١٢ آثنا عشر خطأ . وتوجد مواد أخرى
استعملت حسب الفترة الزمنية وال الحاجة للكتابة ، ومدى وعي الأفراد وإيجاد الوسائل
وتطور المعادن والأعشاب كان لها الأثر في تحسين وتطور هذه المواد مثل :
آ - المدينة : وهي السكين التي يبرى بها القلم .

- ب - المسطورة : وهي من الخشب استعملت في التسطير للكتابة على الورق .
- ج - المصقلة : بكسر الميم وهي التي تصقل الذهب بعد الكتابة .
- د - المنفذ : وهي آلة تشبه المحرز استعملت لحرم الورق أو الرق .
- ه - المداد : وهو الحبر أو المداد الذي كان يصنع من الفحم أو السنаж مذاباً بسائل لزج كالصسنع وكان يجلب من الصين .

الكتب والمكتبات في الدولة الأموية

دام حكم الدولة الأموية للفترة ما بين العقد السابع من القرن السابع الميلادي وحتى القرن الثامن الميلادي (٦٦١ - ٧٥٠) للميلاد . امتازت هذه الفترة بتدوين القرآن الكريم وأحاديث الرسول والاهتمام بالعلوم والعرفة والحكمة والفلسفة من قبل العرب وهي المرحلة الأولى .

أما الثانية وهي مرحلة التصنيف والتأليف التي تساوت المواد المجموعة بالتنظيم والتنسيق والتحليل والاستباط والمقارنة والابتكار ، فقد كان الفقه والتشريع نتيجة التدوين للأحاديث والمعاجم نتيجة لتدوين اللغة ، والنقد الأدبي نتيجة جمجمة ما نظم من شعر وثر .

ويرى الباحثون إن بداية تدوين التاريخ كانت عند الأمويين في خلافة معاوية بن أبي سفيان الذي أمر بجمع القصص الاجتماعية والأخبار التاريخية وتسجيلها على أوراق البردي وجلود الغزال وغيرها من أدوات الكتابة عند الأمويين وجمعها في مكتبة قصر الخلافة في مدينة دمشق وانتقلت مكتبة معاوية في قصر الحضراء في مدينة دمشق إلى الخلفاء الأمويين مثل عبد الملك ابن مروان والوليد بن عبد الملك وغيرهم من الخلفاء اهتموا بالعلوم والثقافة وتقدير العلماء وجمع الكتب والمحظوظات العربية وترجمة بعض المؤلفات اليونانية إلى اللغة العربية في ترجمة كتب الطب والكيمياء والعلوم الطبيعية اليونانية ، من قبل طبيب نسطوري كان في بيته الحكم هو حنين بن إسحق (٨٠٩ - ٨٧٣ م) وقد ترجم لوحده إلى اللغة السريانية مائة رسالة من رسائل حالبيوس ، ومدرسته العلمية .

كانت الدولة الأموية التي سبقت العهد العباسي تمتاز بقصر فتوتها أولاً ، وتعدد الأحزاب والجماعات ، وانشغال حكامها بالتراثات التي دارت بين الجماعات المتصارضة ، مما جعلها تضعف من الناحية الاجتماعية والاقتصادية في الشام . بالإضافة إلى ذلك تأثير العوامل الخارجية وهي تدخل بني العباس وتغلغلهم حتى وصولهم إلى الحكم .

أشهر المكتبات الخاصة المشهورة في الدولة الأموية هي :

- ١ - خزانة الكتب التي جمعها المؤرخ والفقير المشهور (الزهرى) .
- ٢ - خزانة كتب الإمام مالك مؤسس المذهب المالكي التي جمع معها بقية الكتب الدينية .
- ٣ - خزائن الكتب عند كتاب الدولة الأموية وأدبياتها وشعرياتها . مثل عبد الحميد الكاتب وعبد الله بن المقفع وحرير والفرزدق .
- ٤ - خزائن الكتب الخاصة مثل خزانة الكتب التي كتبها عن العرب أبو عمرو بن العلاء .

أما المواضيع التي كتب عنها فهي متنوعة مثل : الأحاديث والسير التبوية ، الأخبار التاريخية ، الأشعار ، والترجم و الأساطير ، والروايات والقصص ، والژواجم ، والأدب .

الكتب والمكتبات في العصر العباسي :

تميزت هذه المرحلة بعد بحث الإسلام بتوسيع العرب وذلك من خلال الفتوحات والغزوات ووصلوا إلى أنحاء العالم وتمازج ثقافات هذه البلدان المحررة (سوريا ومصر والعراق وببلاد فارس) بالثقافات الخيطية واطلاع العرب على مكتبات الفرس التي كانت تتميز بالتنظيم والنوع ، وأسروا مكتباتهم على النمط الفارسي إلى حد ما ، حيث أن الحضارة الفارسية والتربية من هذه البلدان قد بلغت أوجهها بخاصة في زمان كسرى آنور شروان . وأصبح العرب الوريثين للوحيدين لهذه الحضارة المتأثرة هي الأخرى بالثقافة اليونانية بخاصة بعد طرد الفلسفه من أثينا وخلوه هم إلى الامبراطورية الفارسية سنة (٥٢٩ م) .

اتفق المؤرخون على تقسيم الدولة العباسية إلى مراحلتين أساستين هما العصر العباسى الأول (١٣٢ - ٢٤٢هـ) والثانى (٢٣٢ - ٦٥٦هـ) واستمرت هذه الفترة زهاء خمسة قرون ، انتهت بسقوط الدولة العباسية على أيدي التتار .

العصر العباسى

وهو ما يعنون عنه بالعصر الذهبي الذي تميز بوجود مميزات هي :

- ١ - اكتشاف الورق : والمذى يعد الطفرة النوعية في أدوات الكتابة والكتب والمكتبات ، وكان على أنواع حيث كثرة استعماله في عهد هارون الرشيد وظل يستعمل منذ أن اكتشف بوساطة الفتوحات العربية وإلى الآن .
 - ٢ - الكتاب : وهو المكان الذي كان يتعلم فيه الأولاد مبادئ القراءة والكتابة واللغة . واستعملت الأماكن الدينية في العراق .
 - ٣ - المساجد : كان المكان الأساسي وعد من المعاهد الدراسية لتعلم القراءة والكتابة ودروس الأخلاق والفروسيّة ... إلخ .
 - ٤ - الجامس واللندوات : عدلت من النشاطات الخيرية التي قام بها مشروفي المكتبات وأغلب الأحيان في دور العلماء والخلفاء ودكاترين الورق .
 - ٥ - المكتبات : تأسيس المكتبات بأنواعها وابناء الأنظمة والقواعد الأولى في تنظيم الكتب وتصنيفها ، وإنشاء أشهر المكتبات مثل مكتبة بيت الحكم في بغداد ، ومكتبة جامع الأزهر في مصر ، ومكتبة آن عمار في طرابلس (الشام) ودار العلم في الأندلس ... إلخ . (انظر أنواع المكتبات) .
- ازدهرت الحالة الثقافية في زمن الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦هـ - ٧٥٤م) - (١٥٨هـ - ٧٧٥م) وذلك بعد أن افتتحت مدينة دار السلام (بغداد) العاصمة للدولة العباسية بعد تدهور الدولة الأموية التي كان مقرها مدينة دمشق لأسباب عديدة منها التزاعات والمحروب .
- تعددت مراكز الثقافة بالنسبة لأي عصر وما يحتويه من نشاط فكري حتى تمركزت في مكة المكرمة والمدينة كانت من أهم المراكز للنشاط الفكري في المحاجز والبصرة والكوفة في العراق ودمشق في بلاد الشام والقدساط في مصر .

امتازت الحركة الثقافية بالقوة والعمق والابتكار حتى انطلقت منها أكثر المذاهب الفكرية كمذهب المعتزلة وكانت الأساس لانطلاق حركات اجتماعية تدعمها منطلقات فكرية كحركة القرامطة ، وجماعة اخوان الصفا نتيجة حتمية للمناخ الخصب الذي ساعد العلوم والفلسفة والمؤلفات العديدة التي سميت (برسائل اخوان الصفا) والتي بلغ عددها (٥١) رسالة بعدة مجالات .

كان هذا العصر الزاخر بالأدب والأدياء والمؤلفات والترجمات والكتابات الغزيرة والعلماء ، حتى يات من الأفضل تقسيم هذه المرحلة إلى قسمين هما :

١ - الأدب والأدياء .

٢ - العلم والعلماء .

فالقسم الأول وهو الأدب والأدياء : ازدهر في هذه الفترة بالدراسات الأدبية والنقلية المترجمة من لغات عديدة إلى العربية . وفضيل الشعرا وفقيههم بالأموال الطائلة من قبل الحكماء والأمراء مثل البهاء زهير وابن خفاجة ، وأبي الفرج الأصفهاني والباحث وابن خطدون والمزرياني ... وما شجع ذلك موقف الخلفاء وبذل العطايا بالإضافة إلى الظروف المواتية لرعاية المؤلفين والعلماء واللقاءات في مجالس أدبية واجتماعية تساعد على وفرة الإنتاج الأدبي والفكري مما أعطى زخماً قوياً للحركة الثقافية وظهور دراسات تبرز المبدعين .

أما القسم الثاني وهو العلم والعلماء : فكان لا يقل أهمية بالنسبة للمسلمين وحسب الاطلاع على المعرفة والعلوم جراء الاطلاع على الثقافات المزجود آنذاك وتحصصت بالمباحث الفلسفية ، وعلم النجوم ، والطب ، والكميات والجغرافيا والتاريخ واشتهرو في هذا المجال علماء مثل العالم أبي الريحان محمد ابن الأحمد السيروني (٩٧٣ - ١٠٤٨) وهو عالم إسلامي وفيلسوف ومؤرخ ورسالة وجغرافي ولغوی وفلکی وشاعر وعالم .

كذلك الفيلسوف أبو يوسف يعقوب بن اسحق بن الصباغ الكوفي الذي ولد في البصرة وتوفي سنة ٨٧٣ م .

أما في مجال الرياضيات والفلك كان هناك علماء مشهورين وأولهم الخوارزمي .

ومن أشهر الأطباء هو أبو بكر محمد الرازي ، والعالم الآخر هو أبو علي الحسين ابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧) . وفي مجال الجغرافيا كان أبو عبد ياقوت (١١٧٩ - ١٢٢٩ م) .

١ - التدوين والنسخ :

نشأ التدوين في المرحلة الأولى من الإسلام ، وأول من أمر بتدوين القصص والأخبار والأحداث المهمة في هذه الفترة هو معاوية بن أبي سفيان ، اعتمد في سرد القصص التاريخية وبخاصة معرفة تاريخ اليمن وملوك العرب والعجم مدحومة بالأشعار والقصائد الرنانة ، والأهم من ذلك الأحداث التي لها علاقة بالرسول الكريم وبالحديث الشريف ، ثم تسجيل سيرة الرسول بالاعتماد على الرواية وما مدى صدق أحاديثهم . كان ذلك في القرن الثاني للهجرة .

اتسمت هذه الحركة للتدوين اهتمام المؤرخين لما لها من جدية وأمانة علمية ودرائية وتصنيفها عن الأحاديث المنسوبة (وغير المؤكدة) إلى الرسول الكريم وصحبته ، وفتورات وأنساب العرب التي أصبحت موضوع التأليف عند العلماء ووضع القواعد والمناهج لتحقيق ما كتب في هذا المجال .

وأنقدم ماكتب في سيرة الرسول وهو سيرة ابن اسحق برواية ابن هشام تعود إلى أوائل العصر العباسي ، وقد اعتمد الكتب والمصادر الأخرى التي سبقته .

كان من اهتم بهدا الموضوع وتدوين سيرة وأحاديث الرسول هو عروة بن الزبير المتوفى سنة ٧١٢ م . وأشهر الكتب ما كتبه حاجي خليفة بعنوان مغازي الرسول . والشخصية الثالثة التي اهنت بالحديث والمغازي هو ابن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤ هـ ، الذي كان من الفقهاء والمورخين الأوائل في تدوين سيرة الرسول .

كان لنسخ المعلومات والأحداث والسر الذاتية ونقل المؤلفات المخطوطة الاهتمام الكبير من قبل الحكام والكتاب وتشجيعهم للنساخين وأحد الأركان الأساسية مثل الترجمة والتأليف والتدوين للعلوم والثقافة حتى أصبح لها شروط بالنسبة لنسخ والنسخ وهي كما يلي :

آ - شروط النسخ : أن تبدأ الأبواب بالحمرة ، وفواصل الكلام ، كان لا يأس به على أسماء و Mein ، أو أقوال أو أنواع اللغات ، ليسين اصطلاحه وفاتحة الكتاب تفهم القارئ معانيه . كذلك يجب أن يفصل بين الكلامين بدائرة ، ودقة التعبير ،

وجودة الخط ، والتلوين والزخرفة والتنقيط ، وحسن المورق والتزيين بالذهب ، والاهتمام بالظهور الخارجي ، وتبطئ المخطوط بالحرير لحفظه .

ب - شروط الناسخ : كان على الناسخ شروط تظهر مدى جودة الكتاب من الناحية الجمالية وإضافة جانب لتقويم من هو ناسخ المخطوط وشهرته متلاًّ كان يجب على الناسخ أن يكون ذا اطلاع واسع بالثقافة والمعروفة بالموضوعات الأساسية المطروحة المعتمدة وهي : آ - العلوم الإسلامية ، ب - العلوم التاريخية ، ج - العلوم الحسابية ، (الرياضيات) ، د - العلوم العربية .

وقد كان للناسخ أن يتمتع بحسن السيرة والأخلاق ، والأمانة في النقل والوفاء ، ومعرفة لغة أجنبية ، ويسهل القراءة والكتابة ، والخط الجميل . وقد كان الناسخ محمد بن عبد الله بن عطوس المتوفى سنة ٤١٤ هـ ، يضع الألوان لكل حركة أو همسة أو كسرة ، وروعي مدى البعد بين السطور ونوع القلم ، ووفرة الورق .

لكن الضوابط هذه والشروط للاستخراج قد جرى عليها التجاوز من قبل بعض النسخ وهي كما يلي :

١ - الاستعجال في كتابة عدة كراسيس في يوم واحد ، وذلك من أجل الحصول على المال .

٢ - عدم الاهتمام بالكتابة وقد تطول المدة وتكثر الأخطاء .

٣ - تسيب بعض المؤلفات إلى أسماء أخرى أي (سرقة المخطوطات) .

٤ - ظرف الناسخ النفسي : وذلك ما إذا كان في حالة نفسية غير جيدة أو مكتسباً . تضررت المؤلفات إلى وجود الأخطاء في الكتابة ، أو الاختصار ولم تجر الإشارة إلى الاختصار .

والخلاصة : إن العرب كان لديهم اهتماماتهم الكثيرة مثل : المعرفة ، وحب الاطلاع على الثقافات المتعددة ، والفلسفة ، والطب ، والعلوم الأخرى . التي كانت قد شملت جوانب الحياة للمحكام والأفراد ونقلت بوساطة التدوين والنسخ بحيث امتدت فتره ليست بالقصيرة حتى انقسمت إلى مرحلتين هما :

١ - مرحلة التدوين للأحداث بعد التجميع والتقصي ورصد الأخبار وتسجيلها.

٢ - مرحلة التصنيف والتأليف كانت تتناول المراواد والموضوعات بالتنظيم والتنسيق ثم تخلل وقارن حتى تصل إلى مرحلة الابتكار .

٤ - الورق والوراقون :

كان لاكتشاف الورق الأثر الكبير في ازدهار الحركة الثقافية والعلمية ، وانتشار المؤلفات من الصين إلى الجزيرة العربية ومن ثم إلى أوروبا .

كانت الأدوات الرسائل تتطور في كل مرحلة من مراحل تطور المجتمعات وذلك نظراً للحاجة البشرية ، وتطور الوعي وإرث دماغ المعرفة واستعمال ما يسهل سير المهام مثل استعمال المعادن والتقويد في زمن تطور للصناعة ما عدا ذلك لعبت التجارة دوراً كبيراً في انتقال الثقافة والتوجه في الوصول إلى الثقافات الأخرى ، والأهم من ذلك هو أن العرب القدماء وفي سنة (٧١٢م) وعلى أثر الفتوحات والغزوات عندما وصلوا إلى تركستان السوفيتية ، وأسرهم عدداً كبيراً منهم وكان من بين الأسرى صناع الورق كان الصينيون قد عرفوا هذه الصناعة وأحفظوا يسراً لها حتى وصول العرب إلى مدينة سمرقند وروجذروا مصنعاً وأيقوا عليه ، وطوروها هذه الصناعة وخطوا بها خطوات متقدمة . ويقول «آدم ميتر» «إن الكاغذ (الورق) الذي نقل العرب صناعته من الصين ، قد نال على أيدي المسلمين التغيير المهام الذي يعد حدثاً في تاريخ العالم » .

كان الصينيون قبل صناعة الورق يوكل طويلاً بمحاولون الوصول إلى مادة رخيصة للكتابة عليها تقوم مقام سيقان نبات البامبو (الخيزران) المحوفة . وتوصلوا إلى الكتابة على الحرير الغالي الثمن . وكان الناس يستعملون الحرير بقطعه إلى أجزاء صغيرة وتركها في الماء لتنقع وتحول إلى عجينة ناعمة ، وتحفف لتصبح نوعاً من الورق الخفيف ولكن ذلك كان يكلف غالباً . واعتبرت هذه المادة هي الأولى في صناعة الورق .

أول من اكتشف الورق في الصين الموظف الصيني في القصر الامبراطوري واسمه تساي لون (Tsailun) عام (١٠٥ م) من اختراع طريقة جديدة وهي إنتاج الورق من الأقمشة القديمة أو شباك الصيد القديمة وبعض الحشائش ، وقدم هذا المقترن إلى الامبراطور (Ho-Ti) فنال جائزة الامبراطور على هذا الاكتشاف الرائع .

كانت مصانع الورق قد انتشرت بعد أن عرفت صناعته في دمشق وتحريف وأنتشرت منذ القرن الرابع الميلادي وحتى القرن السادس في مدينة فاس بمراكش وأسبانيا ، حتى أخذ الورق العربي يصدر إلى البلاد الأخرى ، وذلك لنوعيته الجيدة^(٢) .

كان أول مصنع قد تأسس لصنع الورق في بغداد ، قبل نهاية القرن الثامن أي سنة (٧٩٤ م) . وكان قبل ذلك في مصر قند النوعية العالمية وهي بالكافاغد السمرقندية، بوجود عامل مهم هناك ألا وهو غزارة المياه التي يحتاجونها في صناعة الورق .

أما في مصر فكان أول مصنع صنع الورق الذي كان من عجينة الكتان سنة ٨٠٠ م هذا وانتشرت الأندلس وبصورة خاصة بصناعة الورق وكان مركزه مدينة شاطبة (Tativa) التي كانت تصدره إلى أوروبا ، وأسس أول مصنع في الأندلس عام (٩٥٠ م) وفي شمال إفريقيا نحو القرن الحادى عشر . وتعلم الأوربيون صناعة الورق عن طريق الأندلس . وبواسطة الحروب الصليبية فنجد أن أول مصنع لإنتاج الورق كان في صقلية سنة ١١٠٢ م وفي إيطاليا سنة ١١٥٤ م وفي المانيا سنة ١٢٢٨ م ، وفي إنجلترا سنة ١٣٠٩ م .

صناعة الورق :

كان الورق يصنع على مراحل عديدة هي :

- ١ - توضع الخرق البالية في الفدور ومعها محلول فوري من ماء الكلس .
- ٢ - يغلى الخليط ثم بعد ذلك تغسل الخرق جيداً ، ثم تحول إلى طواحين كانت سابقاً تستعمل في طحن القمح قبل استخدامها في صناعة الورق في أوروبا .

^(٢) ظهور الكتاب / لوسيان غافر .

- ٤ - تسحق الخرق في ماء الصابون المعبر بعناية للحصول على معجون ذي كثافة مناسبة وهو معجون الورق الذي يوضع داخل وعاء مملوء بالماء الساخن بدرجة حرارة معينة .
- ٥ - يوضع معجون الورق ما يسمى بال قالب وهو عبارة عن هيكل من الخشب مزود بشبكة لها خيوط (ما يشبه المصفاة اليوم) .
- ٦ - يسحب هذا الورق من القالب أو المصفاة وتتشكل قطعة من اللباد لكي تقص منها المياه ، ثم تجمع الأوراق وقطع اللباد ، وتوضع تحت مكبس يعمل على تخفيف الورق من الماء ، وتقرب هذه العمليّة عدة مرات .
- ٧ - توضع هذه الأوراق فوق منشر صغير أو لوح خشبي لتجف تحت أشعة الشمس في الهواءطلق .
- ٨ - يتم تقطيع الورق بطبقة من الصمغ الذي يكسبها مظهراً ناعماً وأملس وينبع انتشار الحر عن الكتابة .

وتذكر بعض المصادر أن صناعة الورق انتقلت إلى مدينة طليطلة منذ القرن الثاني عشر الميلادي ، كان قد مضى على معرفة العرب للورق قرابة قرن من الزمان ، وقبل أن يتعرف الأوروبيون على فصاصة ورق واحدة ... حتى بدأت صناعته في مصر وكثير استعماله حتى أن الباعة أو الأفراد أخذوا يلفون به الخضر والفاكه .

اهتم العرب بالورق لأهميته في مجالات متعددة مثل النسخ والتدوين والتاليف حيث أشار القلقشندي في كتابه « صبح الأعشى » إن الورق كان كثيراً في زمن الخليفة هارون الرشيد (٨٠٩ - ٧٧٦) الذي أمر الناس بأن لا تكتب بعد الآن إلا على الورق (المكافد) ، لمزايا الورق وهي إنه لا يمكن التزوير ولا الكشط أو الحو . توافرت المعامل الخاصة بصناعة الورق ورخص ثمنه وأصبح تجارة مربحة بالنسبة لتجار الورق ، الذين أثروا طبقة معينة خاصة بهذه المهنة وما يتبعها مثل (الكتابة ، النسخ ، التقليل والترجمة ، التصحیح ، البيع والشراء) . هؤلاء سموا بالوراقين ، وقد لعبوا دوراً مهماً في انتعاش الثقافة وتوسيعها من خلال الحصول النهائي لهذه المهنة ألا وهي الكتب وتداوها بين الأفراد وتكونوا بداية المكتبات في الدول العربية . اعتمدت مهنة الوراق على مسائل أساسية وهي :

- ١ - الورق ، وبقية مواد الكتابة .
- ٢ - النسخ ، وما يتبعه من زخرفة وتصوير وتذهيب .
- ٣ - التجليد ، ومواده وفتوته .
- ٤ - بيع الكتب ، وتبادلها وشراؤها بين الأفراد والحكام .

اشتهر بالوراقه مؤلفون وعلماء اتصفوا بالأمانة والأخلاق والثقافة لكل من يعمل بها وانتشرت دكاكينهم الوراقية على طول البلاد وعرضها ، واهتموا ببيع الورق وشرايه ومواد الكتابه وأصبحت له السوق المرجع لهم بالإضافة إلى النسخ للمؤلفات . ومن هؤلاء العلماء اشتهر بالوراقه في العراق أبو عبد الله السوراق الجهي니 الراسطي المتوفى سنة (١٥٩هـ - ٧٧٥م) ، كذلك العالمة ابن النديم صاحب كتاب الفهرست الذي ألفه سنة (٣٧٧هـ) ، ويافوت الحموي الذي كان يتجهز ببيع الكتب ونسخها ، وزكريا بن يحيى كان هو الآخر وزرافقاً للحافظ ، وسعد بن علي بن القاسم أبو المعالي الأنباري المظيري .

امتهن هذه المهنة أشخاص غير أكفاء وهم ليسوا بمستوى المهنة ، التي تتطلب كما ذكرنا سابقاً بالأمانة والإخلاص والثقافة ، وأصبحوا يسيرون إلى هذه المهنة ، وهي نسبة كتاب معين إلى غير مؤلفه ، أو التزوير للحقائق ، أو المبالغة في توضيح المعلومات أو نقل خبر أو حدث ما .

كانت الوراقه ودكاكينها في مصر وسوريا لا تقل عن وجودها في بغداد التي استعملت هذه الأماكن لغرض آخر ألا وهو الالقاء بين الأدباء والعلماء لمناقشة أهم الأخبار الاجتماعية والعلمية والأدبية والمناورات في الشعر .

المهمة الثالثة للوراقين بعد شراء وبيع الورق ، والتجارة به والنسخ كانت هي التجليد التي كانت تعنى بتعقييف دفني الكتاب بالجلود أو المحمل الثمين أو الجروح المذهب بالنسبة للكتب النادرة والمخفوظات . وبعد ذلك كانت تزخرف برسوم أو صور للأزهار مثل الزنبق أو العليور وتذهب عناوينها وقصوها بماء الذهب .

٣ - الترجمة :

مررت الترجمة من اللغات الخبيطة بالمنطقة العربية وهي اليونانية والمسريانية والرومانية والفارسية والاغريقية إلى اللغة العربية بمرحلتين أساستين هما :

- ١ - الأولى : وتبداً من العصر الأموي وافهم بهذه الحال الأمير خالد بن يزيد ابن معاوية ، وأعطي الاهتمام الكبير للمترجمين وأغدق عليهم بالأموال تنتهي هذه المرحلة في أول خلافة المأمون ووصلت إلى مستوى عال جداً .
- ٢ - الثانية : تبدأ بال الخليفة المأمون وتستمر حتى القرن الثالث الهجري (الناسخ الميلادي) .

كان الخليفة المأمون يحب العلم والعلماء وامتلاك الكتب وجمعها وترجمتها من الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية ، ومن اللغة اليونانية إلى العربية كما كان المترجم حين بن اسحق (٨٠٩ - ٨٧٣م) الذي كان شاباً متخصصاً للعلم ولنقل من لغة إلى أخرى حيث كان يتقن اليونانية والسريانية ولكنه كان ضعيفاً بالعربية لكنه تعلم اللغة العربية حينما رافق الخليف بن أحمد الفراهيدي الذي كان في أرض فارس وذهب إليه حتى أتقن اللغة العربية . وعمل بخدمة المأمون في بيت الحكمة لمراقبة النقل من اليونانية إلى العربية بموضع مختلف منها العلمية والأدبية والفلكلورية والفلسفية والطبية مثل كتب أبقراط وبطليموس وجالينوس وبصورة خاصة كتب الفيلسوف ارسطو . كانت طريقة الترجمة تتم بأن توضع الكلمة عربية مقابل الكلمة الأجنبية ، وبعد ذلك حسن الطريقة وجعلها أي الوجهة حسب المعاني للجملة المنقوله بلغة عربية صحيحة . ثم ترجم من اللغة العربية إلى اللغة السريانية ، حيث ترجم وحده مائة رسالة من رسائل جالينوس ومدرسته العلمية . وإلى اللغة العربية (٣٩) رسالة . كما ترجم كتب المنسولات والطبيعة والأخلاق الكرى لأرسطو . وكتب الجمهورية والقوانين لأفلاطون وعهد أبقراط وكتاب الأربعه لبطليموس .

ومن المترجمين للغة الفارسية إلى العربية العالم عبد الله بن المقفع فارسي الأصل الذي ترجم بعض الكتب في المنطق والطب .

والعالم أبو زكريا يوحنا بن ماسويه توفي سنة ٨٥٧م وثابت بن فرة الذي عاش في فترة الخوارزمي نفسها وتوفي سنة ٨٤٣م .

كان النقل أو الترجمة بعد من المهامes الضرورية لخزنه الدولة عملاً رسميًّا تنفق عليه من الميزانية ، وتعتمد له المراكز والأماكن والسفر ومتطلباته لجلب الكتب أو

ترجمتها من أولى اهتمامات الخلفاء ، حتى أسست لها المكتبة المشهورة بيت الحكمة في بغداد وعندت في حينها مركز للنقل والدراسات والبحوث وعندت المكان الأول للمراسلة والتعلم فيها . كان للترجمة المناخ المناسب لانتعاشها لتوافر عدة أسباب هي :

- ١ - تشجيع الخلفاء والحكام والدولة لهذا الجانب التبوي وهو نقل العلوم والمعرفة والأداب وثقافات اللغات المحيطة بالعرب .
- ٢ - توسيع الامبراطورية الإسلامية والرغبة في الاطلاع والتلجم للمناطق التي تم غزوها أو امتلاكها للثقافة والأدب وغيرها من العلوم .
- ٣ - عقد المجالس الأدبية والندوات الثقافية .
- ٤ - البحث عن المعرفة من النناقشات وظهور حب الاطلاع على مزيد من المراجع والممؤلفات القيمة .

دامـت هذه المرحلة من عام ٧٥٠ م حتى عام ٩٠٠ م . كان نتاجها هو انتعاش المكتبة العربية وإغناؤها بكثير من الأدب والعلم والترجمة .

٤ - التأليف :

اعتمد العرب منذ بداية حركة التدوين على الرواية والأحاديث ونقل الأخبار بوساطة الأفراد بقوتهم قال فلان الفلانـي الذي قال عن فلان ... إنـه ، ثم كتب الأحاديث لسلسلة النبيـة والمفتـرات والمغـروـات والانتـصـارات ، وساعد على ذلك وجود العـامل الأـكـبر في غـزـارة الكـتابـة والتـالـيفـات هو اكتـشـاف الورـقـ بأنـواعـهـ الـيـقـ بلـغـتـ (١٢) نوعـاـ وسمـيـ حـسـبـ الـأـماـكـنـ وـالـعـامـلـ الـيـقـ أـسـسـتـ فيـ العـرـاقـ وـمـصـرـ وـالـمـغـرـبـ وـالـأنـدـلسـ .

بلغـتـ التـالـيفـاتـ أـوجـهاـ فيـ العـصـرـ العـبـاسـيـ الشـالـثـ (٣٣٤ـ ٤٤٧ـ هـ) وـسـمـيـ بالـعـصـرـ الـذـهـبـيـ الـذـيـ تمـيزـ بالـحـرـكةـ الـقـنـافـيـ وـالـأـدـبـيـ وـالـعـلـمـيـ فـكـانـ عـصـرـ الـأـدـبـاءـ وـعـصـرـ الـعـلـمـاءـ وـعـصـرـ الـمـؤـرـخـينـ ، حتىـ سـمـيـ بـعـصـرـ الشـيـيـ وـعـصـرـ الـبـحـرـيـ وـأـبـيـ فـرـاسـ الـحـمـدـانـيـ وـالـجـوـهـريـ وـالـرـازـيـ وـأـبـيـ سـيـنـاـ وـأـبـيـ الـفـارـضـ وـأـبـيـ خـفـاجـةـ وـأـبـيـ عـسـاـكـرـ وـالـأـصـفـهـانـيـ . وـاشـتـهـرـ فيـ مجـالـ الـلـغـةـ وـالـأـدـبـ الـتـرـيـزـيـ وـالـجـرـيـرـيـ ، وـفيـ الـفـلـسـفـةـ وـالـفـكـرـ أـبـنـ رـشـدـ ،

وابن حزم وابن سينا ، والغزالى ، والشهيرستانى ، وابن باجحه ، وفي التاريخ والتراجم كان ابن خلkan ، وابن عساكر ، والمقدادى ، والخطيب والديتوري ، ومن أشهر علماء المغاربة عبد الله محمد الادرىسي الذى ولد في سنة عام ١١٠٠ وقد تلقى العلم في قرطبة . كتب كتابه المشهور (كتاب روجاري) وقد قسم فيه الأرض سبعة أقاليم متاحية ، وكانت الخرائط التي رسّها أعظم ما أنتجته في العصور الوسطى ، بعد تقسيم كل أقليم إلى عشرة أجزاء وجعلها على خريطة تفصيلية إيضاحية . كذلك اشتهر أبو عبد الله ياقوت (١١٧٩ - ١٢٢٩ م) . كان يقوت كثير الأسفار ، للتجارة أو لأثر سافر لدراسة الأرض وأهلها لأنّه أحبّ أشد الإعجاب ببلادها وسكانها ولباسهم وأساليب حياتهم ، وكتب كتابه المشهور (معجم البلدان) وهو يعاني الفاقة وشظف العيش ، وكان هذا المؤلف أشهر موسوعة جغرافية ضخمة ، جمع فيها كثير من المعلومات الجغرافية المعروفة في العصور الوسطى .

كانت الحضارة الإسلامية في عهد الدولة العباسية ، امتازت في عدد شعرائها وتراثهم - حتى جمع أبو الفرج الأصفهاني (٨٩٧ - ٩٦٧) في أواخر هذا العصر الكبير من اشعارهم في كتاب الأغانى الذي يتألف من عشرين مجلداً . واشتهر عند العرب الشاعر أحمد بن الحسين المشهور باسم المتيني الذي ولد في الكوفة عام ٩١٥م وتلقى العلم في دمشق ، وأقام في بلاط أمير حلب ، وأشاد بانتصارات سيف الدولة في شعره المعروف بجمال اللغة وقوّة المعنى ، وبعض شعره كان سبباً في هلاكه :

الخييل والليل والبيداء تعرف في
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وبعد ثانية أعوام من ذلك العام ولد في معرب النعمان القرية من حلب أبو العلاء المعربي ، أشهر شعراء العربية في هذا العصر الذي فقد بصره وهو في السن الرابعة على أثر إصابته بالحدري .

اعتمد العلماء العرب على معرفتهم الذاتية والمنطقية في تفسير العقل والمنطق والفلسفة ، وكان ابن سينا واحداً من أوائل علماء الذين لم يعوا على النقل في مصنفاتهم ، فقط كانوا يرجعون إلى المصادر للتأكد والثبت من بعض المعلومات العلمية وهذه أمانة في التأليف ، وكان يشير إلى المصدر أو المرجع الذي استقى منه الموضوع .

كان ابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧ م) قد قسم العلوم إلى قسمين هما نظري وعملي . وعذراً ولا يزال من أشهر فلاسفة الشرق وأطبائه .

ولد في قرية (أفسن) الفارسية ثم انتقل به أهله إلى بخارى ، ولقب بالشيخ الرئيس ، والقىلسوف ، والطبيب العالم ، ومن عظام رجال الفكر في الإسلام .

ابن رشد أو أبو بكر بن باحه الذي ولد في مدينة سرقسطة عام ١١٠٦ م أو كما سمي من قبل الأوربيين (Avempace) كان ابن باحه عميق التفكير بالإنسان والعقل وقال : إن العقل البشري يتكون من جزئين : العقل المادي الذي يتصل بالجسم ويموت بموته والعقل الفعال أو العقل الكوني غير البشري الذي يوجد في الناس كلهم ... إلخ والتفكير هو أسمى وظائف الإنسان ... كتب كتابه في الطب ولم يكتب لها الذبور بسبب شهرته الواسعة في الفلسفة حيث كان من أكبر فلاسفة المسلمين تأثيراً بالعقول . كان ابن رشد من أشهر الأطباء في زمانه وهو الذي كان أول من شرح وظيفة شبكة العين بالإضافة إلى موسوعته الطبية المسماة « كتاب الكلبات في الطب ».

كتب ابن رشد في مؤلفات أرسسطو الشروح المطلولة للطلبة المتقدمين في الدرس أو خلاصة موجزة عنها ، وأفرد لكل كتاب من كتب أرسسطو المكوى نبذة أو شرحاً لها . بالإضافة إلى هذه الشروح ألفَ كتاباً في مجال المنطق ، والطبيعة ، وعلم النفس ، وما بعد الطبيعة والفقه والشرعية والفلكلوك وال نحو .

وفي عام ١١٥٠ أمر الخليفة المستجed في بغداد بإحراق جميع كتب ابن سينا والأخوان الصفا الفلسفية التي كانت تعود إلى (الأخوان الصفا) وهم جماعة سرية دينية وسياسية وفلسفية عاشوا في البصرة في الصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، جمعوا معارف عصرهم من علمية وفلسفية ودينية في رسائل تزيد على الخمسمائة وهي أشبه ما تكون بدائرة معارف ، وتقع في أربعة أقسام هي :

قسم الرياضيات ، قسم الجسمانيات ، قسم النفسيات ، قسم الناموسيات .

كان العالم أبو حامد الغزالي هو الآخر من أعظم علماء الدين المسلمين ، الذي جمع بين الفلسفة والدين في أعظم ما كتبه وهو تهافت الفلسفة واستعان فيه على

العقل بجميع فنون العقل بالإضافة إلى كتاب إحياء علوم الدين ، وألف مائة وخمسين كتاباً .

لا يمكن أن نذكر هنا كل ما كتب ومن كتب من العلماء والأدباء والمفكرين في مجال التأليف وفي مجالات المعرفة البشرية ، ولكنّة الكتابات أصبحت تتألّف في سير الأشخاص والترجمات هو الآخر له علماؤه وطراوته وهذا نشير إلى ثلاثة طرائف في مجال الترجمات العامة وحدها وهي :

آ - التأليف الرأسي أو الشاقولي :

وتتضمن المؤلفات التي كتبت في الترجم لفترة زمنية تسبق فترة المؤلف مثل كتاب (وفيات الأعيان) الذي ترجم للرجال منذ العهد الجاهلي حتى عصره لابن حلكان (١٢١١ - ١٢٨٢م) . وهو مؤرخ وأديب عربي ، ولد عدنان أربيل بالعراق ، وقضى معظم حياته في سوريا ومصر . كان رئيساً لقضاء دمشق وتوفي بها . وكان بعنوان « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان مما ثبت بالنقل أو السمع أو أثبت العيان » وعدد معجماً تاريخياً عاماً . حيث جمع فيه ترجمات العلماء والملوك والأمراء والوزراء والشعراء والكتاب الذين عاشوا فتوات أو عصيوا ما قبل المؤلف حتى القرن الذي عاش فيه وهو القرن السابع عشر . رتبت الموضوعات حسب حروف المعجم . ويتربع منهجي هو ذكر اسم المترجم ولولادته ووفاته ، والمكان . اشتمل هذه الكتاب على ٨٤٦ ترجمة المشاهير .

ب - التأليف الأفقي :

المؤلفات التي كتبت عن الترجم هذه امتازت بذكر الأشخاص الذين عاشوا لفترة زمنية واحدة وحسب شرائح أفقية أي الشخصيات الذين هم على مستوى نعيم أو متفردين بعمل تخصصي مثل المهن الحرة أو الذين عاشوا في قرن واحد من الزمن ، وهي الكتب الخاصة بالطبقات والمثال كتاب الطبقات الكبير مؤلفه ابن سعد ، ولد بالبصرة عام ١٦٨ وتوفي عام ٢٣٠هـ ويتكون هذا الكتاب من ٩ مجلدات ويتضمن ١٥ قسماً . وبعد هذا المخطوط من كتب الترجم الأولى من العهد الإسلامي للأشخاص الذين عاصروا عهد الرسول في عدة أماكن مثل اليمن والعراق والشام ومصر ، وصنفوا على أساس موطنهم .

جـ - التأليف حسب المدن :

امتازت هذه الكتب بأنها ألفت لترجمة أشخاص عاشوا في مدينة واحدة أو بلد واحد خلال فترة زمنية معينة ، مثل كتاب (تاريخ بغداد) الذي ألفه الخطيب البغدادي أحمد بن علي عام ٤٦٢ هـ / ١٠٧٢ م و توفي عام ٤٩٢ هـ / ١٠٩٢ م .

كتب هذا المؤلف حول مدينة بغداد وكل ما يخصها منذ عهد إنشائها حتى أيام المؤلف ، حيث تحدث عن بنائها وخططها ورجالها المعروفيين وفي المقدمة الخلافاء والملوك والأمراء والوزراء والأسراط ، والكتاب والتحف واللغويون والمخالدون والمنطقيون ... الخ .

تضمن هذا الكتاب على ٧٨٣١ ترجمة من سائر الطبقات واتسم بالطابع الموسوعي ، وبترتيب الألقاباني للأسماء . وكذلك المؤلف المشهور بهذه الفترة وهو (تاريخ دمشق) لأبن عساكر ، وصف فيه مدينة دمشق وسكانها وعاداتها وبنائها وخططها ومشاهيرها من الأعلام المعروفيين .

هذا مما يؤكد لنا على مستوى الثقافة وازدهارها للحضارة الإسلامية ، ومن عايشوا هذه الفترة من علماء وأدباء ومتخصصين اعتمدوا على معرفتهم ووعيهم الذاتي ، وترجمة الثقافات المختلفة بالمنطقة من فارسية ويونانية ورومانية . وبخاصة في مجال الفلسفة والطب والقانون وغيرها من العلوم ، ولم يزكوا ميداناً إلا وبحثوا به من شعر وأدب وذلك ورياضيات وصيدلة وتاريخ .

ولا يفوتنا ما (المقدمة ابن خلدون) من أهمية تاريخية واجتماعية والذي عاش للفترة من (١٢٣٢ - ١٤٠٦ م) واشتهر بفلسفته وكان مؤرحاً واجتماعياً ألف كتاب باسمه ثم أضاف المقدمة .

٥ - الفهرسة والتصنيف :

امتاز العرب بتقسيم العلوم والمعارف إلى مواضيع أساسية ، حتى عدوا أول من قسموا المعرفة البشرية واهتموا بفهرسة المواد بعد الشاعر والأديب كاليماخوس المشرف إدارياً على مكتبة الإسكندرية في العصور القديمة، حيث عمل لها الفهارس وصنفها تحت اسم المؤلف ومكان ميلاده واسم والده وأستاذه ، وتعليمه ولقبه وترجمة عن

حياته ببلاقة قصيرة . مع حاشية تشمل على الكلمات الأولى من المصنف أو المؤلف أو حجم الكتاب المكتوب على ورق البردي .

وتدل الأبيات والتنقيبات على أن محتويات مكتبة آشور بانيبال التي كانت مؤلقة من لواح طينية مصنفة تحت رؤوس موضوعات ستة هي : التاريخ ، القانون ، السحر ، العقائد ، والأساطير ، وربما كانت مفهرسة في فهرس عام ومصنفة .

كما وجد في العراق فهارس آخر مثل فهرس (مكتبة المدرسة النظامية) حيث احتوت على فهرس شامل ودقيق رأه ابن الجوزي المتوفى سنة ٩٥٩ هـ .

يعد فهرست ابن النديم من أقدم الفهارس وأقدم كتاب للترجمات حيث قام بتصنيف العلوم القديمة من يونانية وفارسية وهندية باللغة العربية للمؤلف المعروف بأبي الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالوراق ابن النديم ولد في بغداد وتوفي سنة ٣٨٥ هـ / ٩٦٥ م . احتوى هذا الكتاب على عشر مقالات صنفت الشخصيات وأعمالهم موضوعياً وهي كما يلي :

- ١ - المقالة الأولى وهي ثلاثة فنون : الأول في وصف لغات العالم العربي والعجم .. الثاني في أسماء كتب الشرائع .. والثالث في نعم الكتاب الذي لا يأتيه باطل .
- ٢ - المقالة الثانية : وهي ثلاثة فنون في التحريين واللغويين .
- ٣ - المقالة الثالثة : وهي ثلاثة فنون في الأخبار والأداب والسير والأنساب .
- ٤ - المقالة الرابعة : وهي ذات فنون في الشعر والشعراء .
- ٥ - المقالة الخامسة : وهي خمسة فنون في الكلام والمتكلمين .
- ٦ - المقالة السادسة : وهي ثمانية فنون في الفقه والفقهاء والحديثين .
- ٧ - المقالة السابعة : وهي ثلاثة فنون في الأسماء والمخرافات والسحر والشعودة .
- ٨ - المقالة التاسعة : وهي فنان في المذاهب والاعتقادات .
- ٩ - المقالة العاشرة : وهي خاصة بأخبار الكيميائيين والصفويين من الفلاسفة القدماء والحدثين وأسماء كتّبهم .

وامتاز العلماء العرب أمثال الندي (٨٠١ - ٨٦٥ م) بتصنيفه للعلوم بما لا يختلف عن تصنيف المعرفة عند أرسطو ، وقسم العلوم إلى قسمين وهي دينية وفلسفية .

وهو تصنیف نظری موضوعي للمعارف . وسار على هذه الدهاء العالم الخوارزمي والفارابي الذي سمي بالعلماني الثاني بعد أرسطو المعلم الأول وعاش للفترة من (٩٥٨ - ٨٥٠) وذلك لأنّه جمع كل ما يخص من تأليفات لأرسطو وشرحها . ويعد تصنیفه من أقدم التصانیف العربية وذكرها في كتابه « إحصاء العلوم » وقسمها إلى ستة أقسام رئيسة وكل قسم إلى أجزاء وكل جزء إلى مراتب وهي :

١ - علوم اللسان وفروع اللغة .

٢ - المنطق وعلوم .

٣ - الرياضيات .

٤ - العلوم الطبيعية .

٥ - العلوم المدنية .

٦ - ما وراء الطبيعة .

العوامل التي أدت إلى ازدهار الثقافة في الحضارة الإسلامية :

الحضارة العربية في الامبراطورية الإسلامية كان لها الأساس والمناخ المناسب الذي ترعرعت فيه ، هو حضيلة مجموعة من العوامل و كثير من الأسماك اجتمعت معاً لتكون النواة الأولى لنشوء الكتب والمكتبات التي هي الأخرى أثرت به فكان تيجتها التقدم والتطور والازدهار للمجتمع هنا ثانية مقوله « إن الوجود الاجتماعي يتبع الأفكار والأراء والنظريات والحاصلة هو الوعي الإنساني الذي يعود بالأخر إلى تحسين الظروف ويزيداً من الاكتشافات والإبداعات الخلاقة للبشرية جموعه . كانت هناك عوامل عديدة أثرت في تطور المجتمع الفكري والثقافي والاجتماعي والعلمي يمكن حصرها في ناحيتين أساسيتين هما :

- آ - الجانب الداخلي : وهي العلوم الإسلامية واللغة والأدب والشعر والفلسفة وظهور العلماء والأدباء العرب المبدعين في اختصاصات فكرية وعملية .
- ب - الجانب الخارجي : وهي ثقافة الأمم الأخرى والفلسفات المحيطة بالعرب آنذاك وكانت السباقية في مجالات عديدة من المعرفة الاجتماعية والتاريخية مثل الثقافة الفارسية والرومانية واليونانية .

كانت بغداد المركز الرئيسي والأهم للحضارة الإسلامية بالإضافة إلى المدن الأخرى .

العوامل الأساسية هي :

١ - تشجيع الحكام والخلفاء والملوك للإبداع في التأليف والترجمة والتذويين ، ويعود ذلك إلى اهتمامهم بالعلوم والأدب والمعروفة والبحث الذاتي والعمل ومن أجل ذلك تم استدعاء العلماء من خارج بلدانهم وجلب المخطوطات الثمينة ليتم استنساخها بعد وترجمتها ودراسة المؤلفات القيمة في عدة اختصاصات بلغات غير العربية مثل كتب أرسطو وأفلاطون هذا في مجال الفلسفة كما هو الحال في العلوم الأخرى مثل الأدب الفارسي والمكتبات في زمن أنو كسروان .

وأشهر هؤلاء الخلفاء الخليفة هارون الرشيد (٧٦٦ - ٨٠٩ م) الذي جمع المؤلفين وأعد على المترجمين وفتح أبواب ديوانه ومكتبه للعامة من الناس كان يحب العلم والأدب وشجع على جمع الكتب النفيسة من سائر أرجاء العالم جذبها إلى بغداد . وأنعش الترجمة وأعطى ما يقابلها الذهب .

كذلك هو الحال عند ابنه الخليفة المأمون الذي حكم من (٨١٣ - ٨٣٣ م) الذي أسس الأكاديمية المعروفة (بيت الحكم) واهتم بترجمة الكتب التي جابت أشاء الفتوحات واستنساخها بعدة نسخ .

٢ - اكتشاف الورق :

العامل الأهم الذي عد الوسيلة والأداة التي بواسطته تزدهر الإنتاجات الثقافية والفنكيرية والأدبية وتأسيس المعامل الأولى في مصر وبغداد ودمشق ، كان أول مصنع في مصر سنة (٨٠٠ م) وفي بغداد سنة (٨٧٠ م) وأول مصنع في الأندلس كان سنة (٩٥٠ م) .

وتكونت طبقة خاصة لشراء وبيع وتجارة الورق عند العرب وسموا بطبيعة الوراقين كان المحافظ أشهر من عملوا بها .

كان ذلك الاكتشاف وفق الحاجة الضرورية والتي كانت تناسب والتطور المعاشر للمجتمع في العصر الإسلامي وتطور الوعي والثقافة من الجانب الثاني كان

أول من استعمله في الوقت ذاته كانت أوروبا تعيش ظلمة من تدهور الأوضاع ولم يعرفوا الورق إلاً بعد فتوة من الزمن .

٣ - الثقافات الخبيطة :

العامل الثالث هو تأثير العرب القدامى بالثقافات التي كانت تحبط بالجزيرة العربية ، من خلال الفتوحات والاتساع للدولة الإسلامية على أثر الغزوات كانت محاطة بعده دول بمحاورة مثل بلاد فارس والثقافة الفارسية ، وببلاد الروم والثقافة الرومانية ، واليونان والثقافة اليونانية التي سبقت الثقافة العربية بمرحلة متقدمة من الازدهار في مجالات عديدة وهي الفلسفة والأدب والعلوم والتاريخ وبخاصة تنظيم المكتبات كما هو الحال في بلاد فارس بالإضافة إلى التراث اليوناني الذي كان يواجهه ظروفًا صعبة وبطبيعة الحال جلَّ كثير من الشعراء والعلماء إلى بلاد فارس التي كانت لهم الملاجأ الأمين عند مغادرتهم أثينا بعد أن أمر الإمبراطور (بوسنتينيان) بإغلاق الأكاديمية سنة (٥٢٩ م) وأغلبهم فلاسفة الأفلاطونية الجديدة ومكتباتهم الزاخرة بالفلسفة والعلوم الأخرى .

٤ - الترجمة :

كانت العامل الرابع في ازدهار الكتب والثقافة والعلوم العربية وكانت في زمن الأمير خالد بن يزيد الذي كان أول من شجع على الترجمة وجلب الكتب ونقلها من اللغات الخبيطة وهي الفارسية والرومانية واليونانية والاغريقية إلى العربية وبالعكس . ومن ثم في زمن الخليفة المأمون حتى القرن الثالث المجري وأصبح النقل من اللغات الأخرى عملاً رسمياً تتولاه الدولة وينفق عليه من الميزانية العامة . كان نتاج الترجمة هو إغناء المكتبة العربية وازدهار الثقافة ونمو التأليفات للعلماء العرب والأدباء وازدياد حركة البيع والشراء في تجارة الورق ، والكتب ونشوء المكتبات بأنواعها .

٥ - التأليف :

العامل الخامس هو تأليف الكتب الذي بدأ منذ عهد الصحابة والتابعين ، وكما ذكر كتاب كشف الظنون أن أول من صنف أو ألف بالعراق هو أبو نصر سعيد بن أبي عروبة المتوفى سنة ١٥٦ هـ . وأشهر من كتبوا في البلاغة والأدب عبد الحميد

الكاتب ، وعبد الله بن المقفع الذي نقل إلى العربية كتاب كليلة ودمنة وألف الكثير من الكتب منها الأدب الصغير والأدب الكبير . وزخر العالم الإسلامي في هذه الفترة بالمؤلفين الذين خطوا مؤلفاتهم بأيديهم ، ونسجوا الكثير من الكتب المؤلفة من عملا بالنساخ ، كان التأليف قد شمل جميع نواحي المعرفة والعلوم الأدبية والفلسفية والتاريخية العرب الذين أغنوا المكتبة العربية بعشرات ومئات الكتب القيمة ، وآخر مثال على ذلك العلامة والأديب الحافظ الذي كانت نهاية حياته هو سقوط مكتبه عليه .

أهم الملامح للمكتبات في العصر العباسي :

تصف المكتبات التي ازدهرت وذاع صيتها في المشرق والمغرب ، حسب المناخ المناسب والأرضية الخصبة التي وجدت في حضارة العرب للفترة التي حكم فيها العباسيون ، وال المجتمع المترافق ثقافياً وأديرياً وعلمياً . كان الانعكاس الواقعي هو تعدد المكتبات من مكتبات دولة إلى مكتبات عامة ، ومكتبات خاصة ، ومكتبات أكاديمية ، ومكتبات متخصصة (المشائفي) . والأهم من ذلك كان للمكتبات العامة ميزات اختصت بها من تنظيم وإدارة وبيان وهي :

- ١ - إدارة المكتبات من قبل مشرف أو حازن .
- ٢ - مالية المكتبات .
- ٣ - الإعارة بأنواعها .
- ٤ - النسخ والترجمة .
- ٥ - الفهرسة والتصنيف .

٦ - إدارة المكتبات من قبل مشرف أو أمين مكتبة :

كان للمكتبات مشرف إداري أو أمين مكتبة وهو أعلى مرتبة من بقية العاملين ومسؤول عنهم وعن عمليات المكتبة والعاملون كانوا من المعروفين اجتماعياً بأخلاقهم الحميدة وثقافتهم وأماناتهم . وقد اختلف نظام الإدارة من مكتبة إلى أخرى ، والعدد المطلوب من العاملين وذلك حسب محتوياتها ، وبنائها ، وماليتها .

فالمكتبات الكبرى كان لها إدارة خاصة تكون من ثلاثة أشخاص وهم : المشرف الأعلى ويسمى الوكيل أو أمين المكتبة ويسمى الحازن ، ومساعد يسمى

المشرف . فالمكتبة المستنصرية تولى الإشراف عليها ثلاثة أشخاص هم الأول خازن ، والثاني مشرف والثالث مناول أما المكتبات الأصغر والأقل أهمية فكما يقسم بالإشراف عليها إثنان أمين المكتبة والثاني مساعد . وأشرف على المكتبات الصغيرة شخص واحد . كان لأمين المكتبة واجبات يمكن اختصارها وهي :

- ١ - المهمة الإدارية . ٢ - المهمة الثقافية . ٣ - المهمة الفنية .

٤ - مالية المكتبات :

تعدُّ مصدر ميزانية المكتبات بأنواعها وهي إما أن تكون معتمدة من قبل الخلفاء أنفسهم ، أو من مالية الدولة ، أو تبرعات من الوزراء والأمراء المعروفين .

أما رواتب العاملين فكانت تدفع نقداً مع بعض المساعدات الغذائية ، لمساعدة العاملين على معيشتهم اليومية . أما الرواتب فكانت على قدر عالٍ إذا ما قيست برواتب الموظفين (مثال) :

٤٨ ديناراً	راتب الخازن
١٥ ديناراً	راتب الفراشين
١٢ ديناراً	راتب المشرف على الخبز والورق
١٢ ديناراً	أجرة لإصلاح الكتب
١٢ ديناراً	ثمن الماء

هذا مثال بسيط على مبالغ صرفت في دار الحكمة .

كذلك عندما سجل لربات موظفي خزانة كتب المدرسة المستنصرية للخلفية المستنصر بالله العباسي سنة ٦٣٢هـ وهي وفق شروط كما يلي :

- ١ - أن يكون في المكتبة الملحقة بالمدرسة خازن يشرف عليها وأن يكون له كل يوم ١٠ أرطال خبزاً و ٤ أرطال لحماً بحسب العجها وحضرتها وخطبها .
- ٢ - أن يكون فيها مشرف على الخازن وتكون أجوره كالتالي :
- له كل يوم ٥ أرطال خبز وثلاثة دنانير شهرياً .

٣ - أن يكون فيها مناول للكتب وتكون أجرته كالتالي :
له كل يوم ٤ أرطال خبز وطبيخاً وديناران شهرياً .

٤ - الإعارة :

امتازت المكتبات العامة في العصر العباسي بأنها كانت تفتح أبوابها لجميع القراء وبدون تمييز ، وبجانب أي بدون دفع أي مقابل مادي . بالإضافة إلى أنها كانت تزود القراء بالورق والخيوص والأقلام وتتوفر المخمر المناسب من ثاث ونظافة وترتيب للأركان في بعض المكتبات الكبيرة .

امتازت الإعارة بمواصفات وقيم عود عليها الأفراد والمجتمع وذلك من خلال التربية الاجتماعية والتعليمية على حسن الأخلاق والأمانة وهي :

- ١ - عدم تأجير الكتاب لمدة طويلة من أجل عدم حرمان الآخرين منه .
- ٢ - عدم الإعارة خارج المكتبة ، كما حدث في مكتبة فرسابور (دار الحكمة) .
- ٣ - يلزم المستعير بضمانته لقاء الاستئجار ، مساعداً بعض الشخصيات المعروفة والعلماء والأدباء .
- ٤ - تحديد موعد لإرجاع الكتاب .
- ٥ - الالتزام بنظافة الكتاب والحفاظ عليه من التلف أو عدم الكتابة عليه وكان يجري الالتزام بضلال الإعارة الداخلية أو الخارجية أو الجمع بينهما . كما كان لها جانبان سلبيان منه وهو تعرض الكتب للسرقة والضياع رغم كل الشروط السابقة ، أما الجانب الإيجابي ، وهو جراء الإعارة حفظت هذه الكتب من السرقة والحرائق والتدمير التي نالت المكتبات .

٤ - النسخ والترجمة :

وكما ذكرنا في مقدمة هذا الفصل كيف كان للنسخ من أهمية وهو نقل المؤلفات وترجمتها من اللغات الأخرى مثل اليونانية والفارسية والرومانية إلى العربية وجد في المكتبات قاعات خاصة للنسخ والتلذين والترجمة كما كان في بيت الحكمة في بغداد والمكتبة المستنصرية وغيرها ، حيث اعتمد عليهم في نسخ الكتب التاجرة أو

المخطوطات التي وردت إلى المكتبة أو غيرها من المؤلفات الجديدة والتي امتازت بخلاف أثمانها وندرتها في بعض الأحيان مثل الكتب الفلسفية لأرسطو أو أفلاطون أو الكتب الفارسية من أشعار وأدب . مما أتاح للعرب الاطلاع على الثقافات الأخرى .

٥ - الفهرسة والتصنيف :

انصنفت المكتبات عند العرب القدامى بترتيبها وتنظيمها وشموليتها لجميع الأركان الأساسية وتحصيص الفئات الخاصة بالجاميع مثل حجرة خاصة للكتب الدينية، وحجرة خاصة للكتب الأدبية ، وحجرة خاصة للكتب الفلسفية ، كذلك الحال كان مع الجاميع اللغوية ، بالإضافة إلى مجموعة الرياضيات ، أو كتب الطب .. إلخ.

وكان التصنيف موضوعاً مع عمل لواحة باللوحات سميت الفهارس كانت تعلق كل قائمة على الحجرة الموجودة فيها الكتب المذكورة . بالإضافة إلى أن العلماء العرب المشهورين قد صنفوا المعرفة البشرية وعلومها إلى أقسام أكثر تفصيلاً مثل الخوارزمي وابن خلدون والمكتندي والمفارابي .

أما الفهرسة فكانت هي الأخرى مستعملة عند العرب منذ العصور القديمة

^١ والمثال هو مكتبة الاسكندرية وكيف فهرس ^٢ محتوياتها العالم والشاعر

كاليماخوس في ١٢٠ مجلداً . وذكر اسم المؤلف ومكان ميلاده ، واسم والده وأساتذته وترجمة عن حياته نبذة قصيرة وعنوانين أعماله .

كذلك وجدت فهارس أخرى في العراق وهي لكتبة المدرسة المستنصرية حيث احتوت على فهرس شامل ودقيق رأة ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ أما أشهر الفهارس التي وجدت في العصر الإسلامي فهو فهرست ابن النديم ، أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب أنسحق المعروف بالوراق ولد في بغداد وتوفي سنة ٢٨٥هـ / ٩٦٥ . ألفَ الفهرست الذي احتوى على عشر مقالات كل واحد منها بمجموعة من الصناعات الأدبية والفنية والعلمية .

٦ - أبنية المكتبات :

كانت الأبنية جانبًا من الجوانب التي تطورت مع تطور المجتمع المحيط بها وأهدافه من المكتبات ، بعد أن كانت حجرة ملحقة بالجامع أو المساجد ، استقلت بعض المكتبات بأبنية خاصة لها أو كانت ملحقة ببناء خارجي للقصور وفتحت أبوابها

للعامة . اعني بائلتها من فرش وسجاد يجعلها صالحة للجلوس . وتذكر بعض المصادر أن العرب قد اعتنوا حتى في جوانب المكتبة الفنية والجمالية مثل اختيار الميكور المناسب ، ووضع الستائر وتحميل الأركان بالزهور والنباتات وتوفير الإضاءة مع تدفئة المكان شتاءً .

احتوت على ثلاث حجرات أساسية : الكبرى لحفظ المخطوطات وعرضها للقراء والمطالعة فيها ، والثانية لأعمال النسخ والت geld ، والثالثة تستعمل كمخازن للمكتبة .

قسمت القاعات كذلك كل واحدة لموضوع معين وحسب اللغات أيضاً كل قسم له مشرف عليه ، يشرف عليهم موظف أو أمين للمكتبة أعلى إدارياً ، كما هو الحال في تنظيم بيت الحكمة إدارياً .

أنواع المكتبات :

تعددت المكتبات عند العرب في تسميتها وذلك حسب نوعيتها من جانب وأماكنها المتعددة من الجانب الثاني ، في الأول كانت تمتاز الواحيدة عن الآخرى بالمخترفات والإدارة والمشيرين وعلاقتها بالدولة والخلافة ، ف منها ما كان خاصاً ومنها ما كان تابعاً للخلفاء أو مكتبات ملحقة بالمساجد ، ومكتبات المدارس ، ومكتبات عامة بالإضافة إلى مكتبات متخصصة وأكاديمية .

أطلق العرب على هذه المكتبات أسماء عديدة ، منها دار الكتب أو بيت الحكمة ، أو دار العلم ، أو خزانة الكتب ، وكانت ملحقة إما بقصر الخلافة ، أو بمسجد أو جامع ، ومكتبات خاصة بالوزراء والشخصيات المعروفة . ومكتبات عامة ما كان روادها عامة الشعب من طلبة وباحثين وعلماء وأدباء أو شعراء كان يهمهم الوصول إلى المعرفة العميقه والتلوّح في البحث الذي كان سائداً منذ العصر الإسلامي عند العرب .

كان المناخ الثقافي والعلمي والنتاجات الأدبية وتنوع الموضوعات ، والعوامل الموجودة مثل اكتشاف المورق والترجمة والنسخ والتتأليف هي لظروف الموضوعية وال المجتمع الذي كان على وعي متقدم في الأفكار والاستنتاجات المعرفية والثقافية

المتنوعة والاستقصاء والظرف الذاتية وكلاهما : المجتمع والظروف الذاتية هو مفهوم الوجود المادي والمعنوي ، الذي أدى بالثقافة وازدهارها إلى ما كانت عليه في العصر النهبي .

كانت أنواع المكتبات عديدة وهي كما يلي :

- ١ - المكتبات العامة .
- ٢ - المكتبات الخاصة .
- ٣ - المكتبات الخالنية .
- ٤ - المكتبات المدرسية .
- ٥ - المكتبات الشخصية .
- ٦ - مكتبات الدولة .
- ٧ - المكتبات العامة :

كانت هذه المكتبات تميّز بأنها مؤسسة ثقافية عامة لجميع أفراد المجتمع ، التي ازداد عددها في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع حتى بلغ عشر حزن بعضها ملحظ بالمساجد وبعضها الآخر في أبنية خاصة مستقلة ، كان لها نظامها الإداري والثقافي وهي أن المطالعة فيها حرة والإعارة الخارجية فيها تكون دون مقابل .

و كانت المكتبات العامة الكبيرة تفتح أبوابها للجميع ولها مشرفوها الذين كانوا لهم مهماتهم التنظيمية للمجموعات والإدارية والفنية وهي التحلييد والترجمة والنسخ وحفظ ممتلكات المكتبة من السرقة والنهب .

تنوعت محتوياتها وهي كتب الأحاديث النبوية وأهم من ذلك القرآن الكريم . كانت يحفظ من أجل القراءة والدرس في آن واحد ، لأن التعليم آنذاك كان في المساجد . بالإضافة إلى ذلك توافر كتب الفلسفة والتنجيم والأشعار . ومن أشهر هذه المساجد جامع بني أمية في الشام ، وجامع مكة ، والجامع الأزهر في القاهرة وجامع المنصور في بغداد . كانت الحلقات الدراسية في هذه الجوامع هي المسألة الأساسية حينذاك .

اتصفت المكتبات العامة بالتنظيم والإدارة والموظفين أو المشرفين الذين كانوا يقومون بالإشراف على الإدارة ويجب توافق الشروط الخاصة بهذه المهمة وهي أن يكون معروفاً اجتماعياً وذو ثقافة واسعة ويتصف بالأخلاق والأمانة والصدق ، وقد اختلفت الإدارة تنظامها من مكتبة إلى أخرى والعدد المطلوب وذلك حسب كسر المكتبة وحاجتها إلى عدد من المشرفين والخازنين . كانت هذه المسؤوليات تتدخل وذلك حسب الوظيفة والأشخاص وما يتضمنون به من قوة الشخصية والذكاء وحسن التصرف فالمكتبات الكبيرة كان لها إدارة خاصة تتكون من ثلاثة أشخاص وهم : المشرف الأعلى أو أمين المكتبة ومساعد يسمى المشرف بالإضافة إلى الحارس والناول . ومن أشهر هذه الشخصيات التي عملت في إدارة المكتبات العامة هو ابن القوطي المؤرخ المشهور .

كانت من أبرز مهامات أمين المكتبة المهمة الثقافية وهي مساعدة الباحثين والقراء على توفير الكتب والإجابة عن أسئلتهم ولذا كان من شروط المسؤول عن الجانب الثقافي هو أن يكون من ذوي الاطلاع ومعرفة الكتب والعلوم وما يدور في المجتمع من أحداث وتطورات التي تدور فيه ، وأن يكون ذات مكانة أدبية ولها مؤلفات وأبحاث ، مما جعل مستوى المكتبات في ذلك العصر يتطور في مجالات عديدة .

المكتبات العامة في العراق :

١ - مكتبة بيت الحكمة :

تعد دار الحكمة من أكبر المراكز الثقافية في بغداد ومدرسة دينية خاصة ومرصدًا فلكياً ، بالإضافة إلى أنها أول بيت للحكمة أو مكتبة عامة في عصر الدولة العباسية وأعظمها شأنًا ، لما كانت تحويه من الكتب النفيسة في جميع فروع العلم والمعرفة في ويعتبر مختلف اللغات . كان ذلك في بداية حكم أبي جعفر المنصور (١٣٥ - ٧٥٢ هـ) ، أي الفترة التي تميزت بالترجمة والتفسير والتاليف في عدة مجالات منها : الأدب والعلوم والتاريخ والفلسفة والطب والفلسفة . ومن الأسباب التي جعلت بيت الحكمة بهذه الأهمية هو اهتمام المنصور بها وبخاصة في زيادة محتوياتها بجلب الكتب من بلدان أخرى ونقل المؤلفات القيمة من لغات أخرى إلى العربية . فأوصى بها ابنه المهدى الذي كان قليل الاهتمام بالكتب والعلوم .

ولما جاء هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ / ٨٠٨ - ٧٨٦ م) ازدهرت البلاد في عصره بالحضارة والثقافة والأدب وأخذ يكثر من شراء الكتب كما أخذ بتشجيع الأبحاث . حتى كانت الاتفاقيات بينه وبين الملوك والأمراء والدول تتضمن الشروط الخاصة بالكتب ، حتى بحثيء المأمون (٨١٣ - ٨٣٢ م) الذي عرف بغزاره علم وسعة تفكيره وتشجيعه للمتعلقة وهي الفرقة التي حاولت تفسير المسائل الدينية بطريقه فلسفية . أصبحت هذه المكتبة متلقى العلماء والأدباء والباحثين والمت�زجين وأشهرهم حنين بن إسحق الذي عمل بصفة مرافق لنقل الكتب من اللغات الأخرى وبخاصة اليونانية إلى العربية وأهمها الكتب الفلسفية والسياسية ككتاب أرسسطو وغيرها .

بناؤها :

كانت تخترى بصورة عامة على ثلاث حجرات ، الكبرى لحفظ المخطوطات وعرضها بخزانات خاصة ومقفلة ، وللمطالعة في آن واحد . الثانية لأعمال النسخ والتجليد والتوجيه والتدوين . والثالثة استعملت كمخازن للمحتويات .

أما تنظيم وتصنيف المكتبة فكان بالدرجة الأولى موضوعاً ولغرياً ثانياً فقد خصصت لكل موضوع قسم خاص به أو ركين ثم حسب اللغات فكان قسم للغة الفارسية ، وقسم للكتب السريانية ، وقسم للغة اليونانية ... إلخ . وكان كل قسم من هذه الأقسام تحت مشرف وعلاقته إدارياً بشخص مسؤول عنهم وأعلى منهم مرتبة . لذا تعدد مسؤولو هذه المكتبة وهم على الشكل التالي :

- ١ - القائم أو المكتبي .
- ٢ - المشرف .
- ٣ - المسؤول .

أشهر رواد هذه المكتبة الشاعر أبو العلاء المعري المتوفى سنة (٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م) . استمرت هذه المكتبة حتى أواخر العهد العباسي ، ودمرت عندما احتل هولاكوي بغداد سنة ٦٥٦ هـ .

ومن المكتبات العامة المهمة في بغداد كانت دار العلم (أو خزانة ساير) أسسها أبو نصر ساير بن اردشير المتوفى سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٢٥ م حيث اشتري داراً بالكرخ وبين السورين وبها (دار العلم) كما وردت في رسائل أبو العلاء المعري ، وقد بلغ عدد كتبها ١٠٤٠٠ مجلد من أنفس الكتب والمخطوطات بمحالات العلوم كافة فيها

عدد كبير من الكتب التي كتبت بخط يدها مائة مصحف بخط يدها مقالة . وأصبحت مزاراً لجميع الأدباء والعلماء من جميع ضروب الأرض ، وذلك لازدهار وارتفاع صيتها . حتى أن المؤلفين كانوا يسررون عندما تقبل مؤلفاتهم كهدية وحسب ما نسميه بالإيداع كانوا يسمونه التخليد . أشرف على إدارة هذه المكتبة آنذاك للشريف المرتضى والخازن أبو المنصور ، وعبد السلام البصري .

كان أشهر من قصصها الشاعر أبو العلاء المعربي أثناء زيارته بصورة خاصة لهذه الدار للتعرف على محتوياتها ولقاء بالعلماء والأدباء الذين كانوا يرتادونها . وقد أقام في بغداد سنة ونيف يتردد فيها على هذه المكتبة . وكانت نهايتها في سنة ٤٥١ هـ على أثر احتراق منطقة ما بين محلية الكرخ وبين السورين .

كان بناؤها واسعاً وضخماً ، لذلك ضمت قاعات ، خصصت كل قاعة لتعليم أو القراءة أو حلقات دراسية ، وغرف استراحة وتخليل وتذهب وترجمة .

٢ - دار العلم في طرابلس :

أسست هذه المكتبة في نهاية القرن العاشر الميلادي وسميت في بعض الأحيان بدار الحكمة وأحياناً مكتبة عمار لأنها في الواقع تعود لأسرة آل عمار التي حكمت طرابلس الشام ، وأول من عمل في إدارتها أبو طالب عبد الله بن محمد بن عمار سنة (٤٤٢ هـ - ١٠٣١ م - ٤٦٤ هـ) حيث كان حاكماً وقاضياً في آن واحد . واستمر ابن عمار على رئاسته للفاطميين (الذين احضروا طرابلس لحكمهم) ، وانخدعوا من هذه المدينة مركزاً لنشر مذهب الفاطميين . تأسست هذه الدار عام ٤٦٢ هـ / ١٠٦٩ م تولى إدارة هذه المكتبة ثلاثة مسؤولين قاموا بالإشراف على محتوياتها وإعاراتها .

محتوياتها :

ضمت هذه الدار على مجاميع كثيرة ومتعددة في الآداب والعلوم والفلسفة والطب والفلك والتاريخ . احتوت عند تأسيسها ما يقارب ١٠٠٠٠ مائة ألف كتاب ، ويقال إنها بلغت ٣ ملايين مجلد ، ثم ازدهرت بعد نسخ العديد من المؤلفات

والترجمة وتكرار النسخ حراء الشراء والطهاريا حتى أصبح مجموعها يشاهد ثلاثة ملايين كتاب منها ٨٠٠٠٠٥ من القرآن ، و ٨٠٠٠٠٠ ثمانون ألف نسخة من التفاسير .

امتازت خطوطاتها بالتجليد الجيد والمذهب بالإضافة إلى الزخرفة ، مع وجود نسخ بأقلام مؤلفيها ، مما شجع على الكتابة والاستنساخ في ذلك الوقت .

موظفوها :

كان للدار مشرفون ومناولون وعازبون وآخرون .. لما احتوت عليه المكتبة من بحثي عمل فيها الطلبة وبخاصة في مجال العناية بفرشها وأثاثها وإعارة الكتب وتوفير ورق الكتاب والأقلام ومساعدة المشرفين على إنجاز مهامات المكتبة وترتيبها .

بالإضافة إلى النسخ حيث يذكر أن عددهم كان مائة وثمانين ناسحاً يتناولون ليلاً نهاراً . نهاية هذه المكتبة هو احراقها من قبل الصليبيين لجميع محتوياتها وبنائها وأرضاها عندما احتلوا طرابلس سنة ١٠٩٢ هـ . نتيجة التعصب والجهل الصليبي ، وذلك يقال إنها احرقت على أثر دخول أحد القساوسة إلى المكتبة إلى قسم المصاحف التقط أول كتاب وفتحة فإذا هو قرآن كريم فرماد الثاني كذلك الثالث حتى بلغ عشرين قرآنًا فتصور محتويات المكتبة جميعها مصاحف فشارت ثائرته وأمر بإحرارها .

مكتبة دار الحكم في مصر :

أسست هذه المكتبة سنة ٣٩٥ هـ في القاهرة ، لتسافس بيت الحكم المشهور في بغداد ، أنشأها الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، فزین بناءها وفرض أرضها ، وعلق المستاجر على أبوابها وزودها بكل ما يلزم للباحث من ورق ومحابر وأقلام ، وأقام فيها، مجموعة من القراء والفقهاء والمحمدين ومعهم من الخدم من أجل خدمة الناس والعلم والقراءة أو النسخ ، بقيت هذه المكتبة حتى عهد صلاح الدين .

أشهر من تولى إدارة هذه المكتبة أبو نصر المعروف بالشيرازي (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ - ١٠٣٥) وبلغت مولفاته مائة مجلدات كبيرة ، تناول فيها الموضوعات الخاصة لتأييد المذهب اليماني الفاطمي من علوم دينية وسياسية وأدبية .

اتخذ الفاطميون هذه الدار مركزاً لنشر المذهب الفاطمي في شمال أفريقيا ، والذين كانوا على خلاف مع العباسين في تلك الفترة . كان الفاطميون يشجعون البحث العلمي والأدب والفنون . وقد جمعت في هذه المكتبة من المخطوطات وكتب ثمينة في الرياضيات ٦٥٠٠ مخطوط في الفلسفة . أما باقي العنوان بلغ عتوبات المكتبة ٦٠٠٠ ستمائة ألف مجلد .

أجمع بعض المؤرخين على أن عدد خزانة الكتب في هذه المكتبة بلغ ٤٠٤ أربعين خزانة موزعة على ١٨ ثمانية عشرة قاعة للبحث والمطالعة ومقسمة حسب الموضوع . استمرت هذه الدار تقوم بعملها التثقيفي والتبريري حتى سنة ٤٦٦هـ / ١٠٦٨م ، حيث سُلبت وسرقت من قبل الأتراك الذين فرقوها وحملوها إلى الإسكندرية .

مكتبة بيت الحكمة في الشام :

أنشأها الخليفة معاوية بن أبي سفيان في قصر الخضراء في دمشق ، وتطورت في عهد الملك بن مروان والوليد بن عبد العزيز اللذين اهتما بها شديداً الاهتمام لجههما العلم والأدب وقد تم جمع المخطوطات والكتب النادرة من أجل زيادة وعدياتها . وقد أشرف عليها بعض الشخصيات الاجتماعية المعروفة .

٢ - المكتبات الخاصة :

انتشر هذا النوع من الخزانات والمكتبات نتيجة الحالة الثقافية للمجتمع بصورة عامة ، ولزيادة حب الاطلاع والسعى وراء الحقيقة والمعرفة والمرشد من البحث والدراسة ، بحيث فاق بقية الأنواع من المكتبات . وذلك لأنه عدد من تلك الكتب أعلى مرتبة اجتماعية وفكرية وثقافية ، فأصبح لدى الوزراء والعلماء والأدباء والحكام والباحثين الذين حرصوا على امتلاك مثل هذه الجموعات الخاصة التي امتازت بأن أموالها تعتمد على الأموال الخاصة لدى هؤلاء الأفراد .

من هذه المكتبات الخاصة في سوريا ومصر والأندلس هي :

- ١ - مكتبة الوزير جمال الدين الق放心ي المتوفى سنة (٦٤٦هـ) ، كانت محتوياتها زاخرة بالمخطوطات الثمينة والنادرة ، بحيث قدرت بمبلغ يزيد على ٥٠٠٠ ألف دينار ثم أوصي بها للناصر صاحب حلب .

٢ - مكتبة الصاحب أمين الدولة وزير الملك الصالح اسماعيل الأيوبي من دمشق المتوفى سنة (٦٣٨هـ) ، جمع محتوياتها من كل شرق وغرب بأنّان غالبة ، كانت ذات نوعية نادرة تضمنت جميع العلوم من دينية وفلسفية وتاريخية وأدبية .

٣ - مكتبة يعقوب بن كلس الذي كان وزيراً للعزيز بالله الفاطمي كانت له خزانة مليئة بالمواضيع القيمة ، واتسمت بقدرة شفطوطاتها ، كان بن كلس قد جعل من مكتبه مكاناً للنحوارات بين العلماء والأدباء الذين يتبادلون المناظرات والأحاديث ويشكلون المصاحف .

٤ - مكتبة الطبيب القيراني ابن الجزار في قرطبة . كانت محتويات هذه المكتبة أغلبها من جلد المغزال (وهو أحسن الجلود) والتي كتبها بنفسه ، بلغ محتوياتها عند وفاته (٢٥٠) طناً .

أما في العراق فكان عدد المكتبات الخاصة لا يحصى ولا يمكن ذكر جميع هذه المخزائن والتي كان يملكونها الخلفاء والأمراء والأدباء والعلماء .

وإنما يمكن تعداد وتسمية هذه المكتبات ثم ذكر أشهرها وهي :

- ١ - خزانة ابن الجوزي .
- ٢ - خزانة ابن دريد .
- ٣ - خزانة ابن النديم .
- ٤ - خزانة اسحق بن ابراهيم الموصلي .
- ٥ - خزانة اسماعيل بن اسحق الأزدي .
- ٦ - خزانة الأصمسي .
- ٧ - خزانة الجاحظ .
- ٨ - خزانة حنين بن اسحق .
- ٩ - خزانة الشريف الرضي .
- ١٠ - خزانة الشريف المرتضى .
- ١١ - خزانة علي بن هشيم المنجم .
- ١٢ - خزانة الفتاح بن حماقان .

١٣ - خزانة الكندي .

١٤ - خزانة الواقدي .

١ - خزانة الكندي :

وهو يعقوب بن اسحق الكندي توفي سنة ٢٤٦هـ - ٨٦٠م ، ولد في بغداد ويعتبر الكندي فيلسوف العرب وغني عن التعريف مما له من شهرة خاصة وما له من كتب ومؤلفات في الفلسفة والعلوم ، وقد خلف من إنتاجه الفكري (٢٦٥) مقالة وبعثاً في علوم الحساب والهندسة والنجوم والفلك والأنساد والجغرافية والطبيعة والسياسة والموسيقى والطب . وكان الكندي ميالاً إلى مذهب الاعتزال أو (المعتلة).

اشتهرت خزانته بالكتب النفيسة وجمع واستنساخ لها الكثير من المؤلفات وذاعت شهرته في الكتب والخطورات . ونتيجة لذلك أثار حقد الحاسدين والجهة ودبروا له مكيدة فذهبوا إلى كتبه وأفردوها في خزانة سميت « بالكندية » ولكن الكندي استرد خزانته فيما بعد .

٢ - خزانة الجاحظ :

وهو الأديب والكاتب مؤلفات مشهورة وعديدة (١٥٩ - ٢٥٥هـ / ٧٧٥ - ٨٦٨م) عاش في فترة المأمون وكتب في مواضيع عديدة أهمها : الفلسفة والعلوم والاقتصاد ، وعلم الحيوان ، والرياضيات بالإضافة إلى المؤلفات الكثيرة والأدبية بصورة خاصة مثل البيان والتبيين والبحلاء ، وانصف مجده للقراءة وكان أيضاً ورائعاً ، كان يقضي معظم أوقاته في دكاكين الوراقين ، وجمع الكتب القيمة وكثرت الكتب في مكتبه التي وصلت إلى السقف وتذكر المصادر أن هذه الخزانة قد وقعت عليه وهو مريض فقتلته أي توقي على أثر ذلك .

٣ - مكتبات المساجد أو جوامع (أو مكتبات الدولة) :

تعود بداية هذه المكتبات مع نشأة المساجد وجمع القرآن وكتب أحاديث الرسول ﷺ وسيرته الذاتية وتفسيرات القرآن ثم الكتب التاريخية الخاصة بالغزوات والفتوحات ثم الكتب اللغوية والعربية والأداب والفلك والنجوم التي تضاعف عدد

هذه المؤلفات مع بداية التدريس والنسخ ووضع النقاط على الحروف من قبل أبو الأسود الدؤلي في صدر الإسلام .

كانت هذه المساجد ملتقى العلماء والأدباء وبقية عامة المجتمع وذلك لأنها كانت المكان الأول لالقاء المحاضرات والخطب الدينية والنقاشات الأدبية من جهة وتعليم القرآن والقراءة والكتابة من جهة ثانية . ولذلك كان هذا المكان مزاراً حقيقياً يومئذ الأفراد ليس فقط للعبادة وإنما للتزوّد بالمعرفة والثقافة والتعلم ، حيث كانت تدرس فيه بقية عادات وأخلاق وتربيّة الأولاد كيف هي الأخلاق والمرودة والصدق والشهامة والفروسيّة وركوب الخيل .

ومن أشهر هذه المساجد تلك التي أقيمت في مدينة الكوفة حيث عسرت بعدد كبير من المساجد مثل مسجد الجامع الشهير ، ومسجد السهلة ويعود تأسيسها إلى القرن الأول الهجري ، كملّك مسجد الحمراء ، ومسجد الحنّابة وفي هذه المساجد عقدت الحلقات الدراسية والعلمية للوعظ والدرس والمحاضرات ، وتؤكد المصادر أن المسجد الجامع الشهير بالكوفة كان مزدحه بالناس ، وفي هذا المسجد ظهرت يواحد مبادئ الفقه المبني على التجرد والاستباط ، وفيه ظهرت مدرسة تفسير القرآن ، كذلك كان مكاناً لإنشاد الشعر ونقدّه ، ومكاناً لتعليم القراءة . وكما كان مسجد الكوفة ، كان جامعاً بين أميّة في دمشق ، والجامع الأزهر في مصر ، وجامع المنصور في بغداد وجامع مكّة والمدينة ، وجامع قرطبة وطليطلة في الأندلس ، وانتشر هذا الجامع لما فيه من حلقات كانت تعقد بحيث حذبت إليها الطلاب المسلمين والمغاربيين ، وكان يقصدها الطلاب من جميع أنحاء أوروبا هذه المكتبة بقيت حتى بعد سقوط طليطلة بيد الأسبان عام ١٠٨٥م ، التي عدت مركزاً ثقافياً لجميع الأجناس البشرية .

٤ - مكتبات الخليفة :

كانت هذه المكتبات خاصة بالخلفاء والأمراء والحكام ومكاناً للحلقات والمحاضرات الأدبية والدينية ومنها نشر المذاهب والعقائد التي يعتنّ بها الحاكم أو الخليفة . أما الإشارة فيها فمنها الخاص بالإضافة إلى أنها تضم قسماً للعامة .

اهتم حكام الدولة العباسية في بغداد والدولة الفاطمية في مصر والدولة الأموية في الأندلس في أواخر القرن الرابع الهجري بجمع الكتب والمخطبون من أرجاء

العمورة لحبهم للعلم والأدب والمزيد من المعرفة مثل مكتبة خالد بن يزيد بن معاوية التي أنشأها لتكون المكتبة العلمية الأولى في فرقة حكمة وذلك لاهتمامه بالعلوم والأداب وجمع المخطوطات ، ثم ألحقتها بمركز النقل والترجمة الذي كان يشرف عليه ويقيم فيه تجاريته العلمية .

احتوت هذه المكتبة على مجموعة من الكتب القيمة ، وبخاصة كتب علم الفلك لأنّه كان مولعاً بها ، بالإضافة إلى الكتب التي تم ترجمتها من اليونانية إلى العربية .

وتقىد بعض المصادر أن سوريّة لم تكن فيها مكتبات كثيرة خاصة بالأمراء والحكام ، لأنّ أغلب حكامها كانوا من شعوب بالحروب أو مغتصبين هم وأخبارهم حيث لم يذكر لهم سيرة أو حدث ، وقسم آخر لم يهتم بالعلم والكتب وهؤلاء كانوا من (الترك والسلامحة) .

أشهر الأمراء في سوريا الذين اهتموا بالعلم والأدب سيف الدولة الحمداني وهو أبو الحسن بن علي بن عبد الله همدان التعلبي الذي ولد سنة ٣٠٣ هـ - ٩١٥ م في ميافارقين أشهر مدن ديار بكر ، الذي تربى على حياة أرستقراطية ، أسلمَه أبيوه إلى العلماء والحكماء لكي يدرِّبوه ويلقنه صنوف العلم وهو في عصامي ومجامر ، عاش في حُر يسوده الاضطراب توفي سنة ٥٣٦ هـ .

كان مقره في مدينة حلب شمال سوريا ، انتَهَ حُرُّهُ في البلاط عدد من الأمراء ومن أعظم الشعراء والأديباء والعلماء أمثال :

أبي الطيب المتنبي ، وأبي فراس ، وأبن حاليه ، والقبيلسوف الفارابي .

كذلك اهتم سيف الدولة بالنقل والترجمة ، وقد أوجد مكتبة كبيرة في عهده وضعها بإشراف أخوين مشهورين في زمانه .

أما في العراق فإن هذا النوع من المكتبات قد كثُر عدده ، حيث أصبحت مظهراً من مظاهر الحضارة وازدهار الثقافة ، وانتصفت هذه المكتبات بأنها كانت مفتوحة للناس . أو بالعكس كان قسم منها محظماً على العامة من الناس ، وأشهر من اهتموا بالمكتبات هم : الخليفة الناصر ، والخليفة المستنصر ، والخليفة المعتصم آخر الخلفاء العباسيين في بغداد ، والخليفة المنصور ، فالخليفة الناصر الذي دامت حلاقته

مدة طويلة من سنة ٥٧٥ - ١٢٢٥ / ١١٨٠ - ٥٦٢٢ م . كان قد نقل إلى مكتبه الكثير من الكتب والمؤلفات وهي مكونة من ثلاثة خزانات وهي :

١ - خزانة الدار المسننة في بغداد .

٢ - خزانة الرباط الخاتوني السلمجوفي في بغداد .

٣ - خزانة المدرسة النظمانية في بغداد .

أما خزانة الخليفة أبو جعفر المنصور فكانت المثال الأكبر لخزائن الخلفاء الذي تولى الخلافة منذ (١٣٦ هـ - ٧٥٤ م) ، بعد من أعظم الخلفاء العباسيين ، كون مكتبة وأحقرها بالقصر ، وعمل فيها العديد من الأدباء والوراقين ، وجمع كل من كان حاذقاً في النسخ والتبرير والت geld . وتعرف على المؤلفين ، حتى يعرف كل أخبارهم وأخبار كتبهم قبل أن يصدرونها وقبل أن يطلع عليها الباحثة ، وقد وصل إلى علمه أن أبي المهرج الأصفهاني الأديب المشهور ، كان أمري النسب ، يولف كتاباً وهو « الأغاني » فأرسل إليه مبلغ ألف دينار من الذهب وبعث إليه بنسخة قبل أن يخرجها من العراق .

زودت هذه المكتبة بمحفظات في مواضيع متعددة منها : الشعر والأدب والفلسفة والتاريخ والدين ، وكلف العديد من المترجمين بنقل المؤلفات اليونانية في مجال الفلسفة والطب وكتب الأدب الفارسية إلى العربية .

أما في مصر فكانت الخلافة ، إحدى سمات الحكم الفاطمي الأدبية والثقافية واهتمام حكامهم بالأدب والعلم والمعرفة .

وجمع الفاطميون الكتب والمحفوظات الخلاة بالذهب والفضة والمرizna بالصور والرسومات ، كانت هذه المؤلفات مخطوطة بأقلام أصحابها أو مشاهير الخطاطين أمثال ابن مقلة وابن البواب .

قسمت هذه المكتبات إلى أقسام ، الواحد يحتوي على ثمانية عشر ألف كتاب في العلوم القديمة .

أسست هذه الخزانات التي وصفت بأنها من عجائب الدنيا سنة ٣٧٨ هـ بجوار جامع الأزهر وكانت على نوعين :

الأولى خزانة القصر الخارجية وعددها أربعون خزانة ، والثانية هي خزائن القصر الداخلية ، وكان الاطلاع عليها مطلوراً على العامة في حين أن العامة كان يسمح لهم الاطلاع على الخزائن الخارجية .

من مميزات الفاطميين أنهم اهتموا بتأثيث المكتبات وبجهيزها بأغصان الأثاث وفرشها بالسجاد الجميل والمزخرف ، ووضع السماق الممتازة على أبوابها ، وتزويدتها بالورق والأقلام . حتى نهايتها الذي كان من جراء الحروب ودخول صلاح الدين القاهورة وإلغاء الخلافة الفاطمية سنة ٦٥٧ هـ ، وطرح محتويات هذه المكتبة للبيع في المزاد العلني .

أما في الأندلس وبخاصة في مدينة قرطبة ، أسست مكتبة عامة وبخاصة في آن واحد في عهد الإزدهار ، وفي فترة حكم الخليفة عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) في مدينة الزهراء بقرطبة ، وازدهرت وكثُرت محتوياتها من كتب في عهد ابنه الذي استفاد من قوة والده وتواتر المال ، بالإضافة إلى حبه للعلم والكتب . بلغ مجموع كتبها نحو (٤٠٠٠) مجلد كتب فهارسها في (٤٤) كراسة في كل كراسة محسنون ورقة ، عشرون ورقة منها خصصت للدواوين الشعرية .

٥ - المكتبات المدرسية :

كان حب العرب للعلم والأدب والثقافة قد استوجب بالضرورة تأسيس المكتبات من هذا النوع حتى شملت جميع أنحاء الامبراطورية ، والتي كانت بالأساس ملحقة بالمساجد والمعابد ، اتخذت في البداية لنفسها أن تكون مراكز لتعليم الدين والقراءة والكتابية وبقية المدروس المخصصة بالتربية والأخلاق والألعاب الرياضية مثل الصيد والرمي ، وكان تلقى هذه العلوم للدارسين مجاناً وبدون مقابل . ثم تخصصت بعض هذه المدارس ببعض الاختصاصات واستقلت عن الجامع أو المساجد بأبنية خاصة بها ، وأشهر هذه المكتبات وهي :

المدرسة المستنصرية :

تأسست سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م في عهد الخليفة المستنصر بالله في الجانب الشرقي من بغداد ، ولاتزال آثارها باقية ليومنا هذا وعدت من أهم المباني الأثرية التي مازالت قائمة على ضفة نهر دجلة اليسرى .

كان هذه المدرسة شهرة ولاتزال ، لكونها أقدم وأعظم مراكم بغداد التعليمية من نحو مائة سنة .

امتازت بمحفوظاتها الثمينة التي تجلت جميع التواصي العلمية والأدبية والطبية والتاريخية ، ونظمت على نسق موضوعي ، وتصنيف وفهرسة لكل موضوع على حدة . بلغ مجموعها ٨٠٠٠٠ ثمانين ألف مجلد من أمن الكتب ونواودها كان يشرف على هذه المكتبة أكثر من شخص إداري وهم المشرف والخازن والناول والحارس ، وبقية العاملين في النسخ والتحليل .

أما بناءتها فكانت واسعة ومرتبة كما هو الحال في بيت الحكمة الذي عد موكيلاً فلكياً وتعليمياً . احتوت هذه المكتبة على ثلاث حجرات ، تم فرشها بالأثاث الفاخر وبقية الموارزم الخاصة بالقراءة والكتابة . وكان مكان هذه المكتبة ضمن المدرسة وسيستعاناًة الكتب وهي قاعات كبيرة تقع في الجانب الشرقي من المدرسة يفصل بينها وبين المدرسة دهليز طوبل عال .

ربت جدرانها بكتابات زخرفية على مدخل المدرسة المستنصرية الأصلي استمر التدريس بها حتى القرن العاشر .

٦ - المكتبات المتخصصة :

كان من عوامل ازدهر المكتبات هو اهتمام الخلفاء والأمراء والحكام بالثقافة والتعليم والأدب ، كان نصيب المستشفيات هو الآخر اهتمام الخلفاء وذلك بإنشاء مكتبات لحقت بها وزودت بالكتب الطبية والعلمية لفائدة الطلاب والمرضى والأطباء في آن واحد .

خصصت هذه المكتبات للمناظرة والمناقشات وإعطاء الدروس العلمية والتعرف على آخر ما توصل إليه العلم من تقدم .

وأشهر المكتبات هي مكتبة عضد الدولة البوبي في بغداد الذي ولد بأصفهان ، فتح قرمان وعمان ، هزم الترك في واسط وظفر بالعراق بعد استيلائه على بغداد ، غزا جرجان وطبرستان ، عُرف برعايته للعلم والعلماء وإحسانه على الفقراء ، وحظي عضد الدولة من سعة بالملك ما لم يبلغه أحد من بين بويه ، توفي وعمره ٤٧ سنة ،

ومكتبة أخرى هي بيمارستان نور الدين الشهيد في سورية . ومكتبة مساجع العلمي الذي جمع نصر الدين الطوسي فيه قرابة (٤٠٠٠) مخطوط هذا وقد بلغت مكتبات المشافي حجماً ضخماً .

وأخيراً تذكر المصادر أن مكتبة مستشفى قلاون بالقاهرة قد حوت على (١٠٠٠) مجلد حصل على معظمها من مكتبة دار الحكمة بالقاهرة .

ز - نهاية المكتبات الإسلامية :

كان هناك سببان في انتهاء هذه المكتبات الراهنرة والقديمة بالمخابر والفكير والعلم والاتجاهات الأدبية والمخطب طات النادرة .

أولاً : أنه في أواخر الفترة العباسية بدأت تضعف الدولة حراء تفكك المجتمع الإسلامي والانقاد وراء المشكلات والمصعوبات والثورات وكان هذا هو العامل الداخلي حيث أخذت الدولة تطلب نمساعدة رجال الدين والفقهاء من أجل مدها بالقوة لقاء كتبها للأفكار المحرجة والمستقلة والأراء الحديثة من فلسفية واجتماعية ودينية، بالإضافة إلى حركات الفتن والثورات .

ثانياً : اضمحلال الدولة وأنهيارها من جهة وتقدم المسيحيين من بلد إلى آخر وبخاصة في إسبانيا التي لم يقي منها إلا غرناطة ، ثم استيلاء الصليبيين على بيت المقدس أثناء الحروب الصليبية التي دامت قرنين ١٠٩٦ - ١٢٩١ وذلك في مصر والشام .

كان آخر الخلفاء العباسيين في المشرق هو المستعصم بالله وكثير باسم مثال الرقة والأخلق وعد من العلماء وكبار الخطاطين واهتمامه الشديد بالثقافة والكتب والدين، وهذه الأخلاق والصفات لا تتفق مع ذوق هولاكو الذي أصبح يريد الانتقام من هذا الخليفة ، دخل بغداد هو وجنوده في ١٣ شباط عام ١٢٥٨ ، وأشاعوا فيها الحراب والدمار وقتلو سكانها من طلبة وعلماء وشعراء ، وأحرقوا كتبها العلمية والأدبية وهي التي كانت مليئة بالعلوم والأداب والمعرفة والفنون خلال مدة أربعين يوماً كاملاً، ويقول ابن عجلون : « إنه ألقى وقت فتح بغداد ورمي كتب العلم التي كانت في

خزاناتهم بدجلة حتى يقال إن نهر دجلة أصبح لونه وتغير جراء حرب الكتب ، والأوراق والرسائل التي أقيمت فيه . ومن بينها مكتبة بيت الحكمة .

كان نصيب المكتبات الأخرى من الخراب والدمار نصيباً ليس أقل مما هو في العراق . كذلك دمر المغول المكتبات العشر الفخمة التي كانت في مدينة مر كما ذكرها ياقوت كذلك فعلوا في مكتبات ساوة ، ثم انتقلوا إلى مركز الطائفة الإساعيلية وهي قلعة المور الشهيرة ، دمروا ما فيها من مكتبات وثقافة وعلوم . بالإضافة إلى تدمير مكتبات بني عمار في طرابلس الشام .

كانت هناك أسباب أخرى لفقدان المكتبات في الأقطار العربية وذلك جراء السلب والنهب والحرائق . كما هو الحال في مكتبة دار الحكمة في مصر ، حيث سُلبت وسرقت من قبل الأتراك الذين مزقوها وحملوها إلى الإسكندرية ، وعند إرسالها إلى هناك من قبل الجهلة عملوا من جلودها أحذية لهم .

أما مكتبات الخلفاء الظاهريين في مصر فقد طرحت محتوياتها للبيع في المزاد العلني إثر دخول صلاح الدين مدينة القاهرة ، وقد استمر ذلك لوقت غير قصير ، حيث خصص يومان في الأسبوع لبيع تلك الكتب .

مصادر الفصل الثالث

- ١ - أدب الترسل من الجاهلية إلى أواخر العصر الأموي / محمود مقداد -
دمشق : جامعة دمشق ، ١٩٨٦ - مع ١ (١٣٨ ص) ، ٢٤ سم .
- ٢ - تاريخ الأدب العربي / حنا الفاخوري ط ٢ ، منقح (بيروت) المطبعة
البوليسية ، ١٩٥٣ - ١١٣٦ ص .
- ٣ - قصة الحضارة / تأليف ويليام جيمس ديورانست ، ترجمة زكي لحبيب
محمود (وآخرون) ط ٣ - القاهرة : لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٧٨ -
٣٦ ج في ١٨ مع ١٩٥ ص .
- ٤ - مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم / عمر الدقاد
- حلب : المكتبة العربية ، ١٩٦٨ - ٣٣١ ص .
- ٥ - من تاريخ المكتبات في البلدان العربية / د. حسال الجواهري - دمشق :
وزارة الثقافة ، ١٩٩٢ - ٤١٤ ص ، ٢٤ سم .
- ٦ - التزعمات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية / حسين مسروة ، ط ٤ -
بيروت : دار الفارابي ، ١٩٨١ - ج ١ ، ٢٤ ، ٨٦ سم .

الفصل الرابع

الكتب والمكتبات في أوروبا والشرق الأقصى

أولاً - في العصور الوسطى .

ثانياً - في عصر النهضة .

ثالثاً - المكتبات الوطنية .

أولاً - العصور الوسطى هي تلك القرون العشرة الواقعة بين العصور القديمة والعصر الحديث ، وتمتد في الفترة الواقعة بين القرنين الخامس والخامس عشر ، أي منذ سقوط الامبراطورية الرومانية وحتى بداية عصر النهضة ، وفي هذه الفترة ، التي كانت عصر ازدهار وتطور بالنسبة للحضارة العربية ، حكم على أوروبا ظلام طويل من التخلف والجهل ، وبالطبع فلم يكن الكتاب والمكتبات استثناء من ذلك .

فمع بداية العصور الوسطى دخل الكتاب مرحلة صعبة ، فقد تداعى الأساس القديم الذي قامت عليه ثقافة الكتاب . صحيح أن ذلك لم يحدث دفعة واحدة وفي كل الأقاليم الأوروبية الثقافية والسياسية الكبرى ، التي قامت على أنقاض الامبراطورية الرومانية . ففي فجر العصر الوسيط كانت لاتزال بعض ورش النسخ تصادف هنا وهناك ، واستمرت تقدم خدماتها للنخبة المتعلمة ، لكن اندلاع الحروب والغزوات أدى إلى تلاشي المجتمع القديم ، ولم يلبث الكتاب أن فقد دوره الاجتماعي ، حيث تحول من أداة لنقل المعلومات العلمية والأدبية إلى مادة لتنقيس ومارسة السحر والشعوذة . وقد ذهب الكثير من المكتبات الضخمة ، التي كانت منتشرة في روما والمدن الأخرى ، طعمًا للنيران ، ولم تكتب النهاية إلا لكميات قليلة من الكتب القديمة ، التي وجدت ملائماً لها في المكتبات الجديدة في الأديرة والمكتبات والمدارس الدينية ، التي تحولت إلى مراكز تحكم إنتاج الكتاب في الغرب حتى ظهور ورش النسخ المدنية في الجامعات .

كانت الأديرة المكان الوحيد للقراءة والكتابة ، أما خارجها فقد كانت الأمية تضرر أطبابها في كل مكان . وعادت المشافهة لتحتل المرتبة الأولى ، إن لم نقل

الوحيدة في عملية التواصـل ، ولم يلبـث الرسم أن تحولـى إلى واحـدة من أهم أدوات التواصـل .

ومن المعـروف أن الرسم كان ذا أهمـية بالغـة كأداة للتـواصـل في كل المـحضرات الـقديـمة بدءـاً من المـصريـين ورسـومـهم في « كـتب الموتـى » وإنـهـاءـ بالـيونـانيـين والـروـمـانيـين . حتى إنـ العـالم فـارـون وضعـ قـامـوسـاً ضـخـماً لـلـأـعـلام زـيـنه بـرسـوم ٧٠٠ شخصـيةـ منـ الشـخـصـياتـ المشـهـورـةـ .

وـإـزـاءـ تـفـشـيـ الأـمـمـيـةـ عـلـىـ هـذـاـ النـطـاقـ الوـاسـعـ بـيـنـ النـاسـ دـعاـ الـبـابـاـ وـكـبارـ رـحـالـاتـ الـكـنيـسـةـ إـلـىـ اـسـتـخدـامـ الرـسـمـ فـيـ الدـعـوـةـ للـدـينـ الـجـدـيدـ . وـهـكـذاـ فـقـدـ ظـهـرـتـ الـنـقـافـاتـ الـمـصـنـوعـةـ مـنـ الرـقـوقـ وـالـمـزـدـانـةـ بـالـرـسـومـ وـالـمـشـاهـدـ الـمـخـتـلـفـةـ الـمـسـتـقـلـةـ مـنـ الـكـتـابـ الـمـقـدـسـ ،ـ بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ رـسـومـ الـحـكـامـ الـمـعاـصـرـينـ . وـكـانـ طـولـ هـذـهـ الـنـقـافـاتـ يـتـراـوـحـ بـيـنـ ٢ـ -ـ ٩ـ أـمـتـارـ ،ـ بـيـنـماـ يـتـراـوـحـ عـرـضـهـاـ بـيـنـ ١٥ـ -ـ ٤٧ـ سـمـ .ـ وـقـدـ وـصـلـنـاـ ٣١ـ نـسـخـةـ مـنـ هـذـهـ الـنـقـافـاتـ .ـ غـيرـ أـنـ أـهـمـيـةـ الرـسـمـ سـوـفـ تـزـدـادـ لـاحـقاًـ ،ـ عـنـدـمـاـ يـتـمـ طـبـعـ رـسـومـ الـقـدـيـسـينـ بـالـقـوـالـبـ الـخـشـبـيـةـ ،ـ أـوـ عـنـدـمـاـ يـتـمـ طـبـعـ الـكـتـبـ الـتـيـ يـتـرـاجـعـ فـيـهاـ النـصـ إـلـىـ الـمـرـتـبةـ الثـانـيـةـ بـعـدـ الرـسـمـ .ـ

وـفيـ نـهـاـيـةـ الـقـرـنـ الثـامـنـ وـمـطـلـعـ الـقـرـنـ الـتـاسـعـ ،ـ أـيـ فـيـ عـهـدـ شـارـلـمانـ ،ـ إـزـادـادـ الـاـهـمـامـ بـالـتـعـلـيمـ وـالـتـشـجـيعـ عـلـىـ الـقـرـاءـةـ وـالـكـتـابـةـ ،ـ وـيـعـودـ الـفـضـلـ الـكـبـيرـ فـيـ تـلـكـ الـنـهـضـةـ الـقـاـفـيـةـ إـلـىـ الـأـيـاتـ الـكـوـيـنـ مـنـ دـيـرـ يـورـكـ .ـ

وـبـقـضـىـ الإـمـكـانـاتـ الـمـادـيـةـ وـالـرـغـبـةـ الـعـارـمـةـ تـمـكـنـ شـارـلـمانـ مـنـ تـحـقـيقـ الـكـثـيرـ مـنـ أـهـدـافـ الـرـامـيـةـ إـلـىـ إـحـيـاءـ الـأـكـادـيـمـيـةـ الـهـنـسـتـيـةـ وـمـكـتـبـةـ الـاـسـكـنـدـرـيـةـ ،ـ فـجـمـعـ أـفـضـلـ السـاخـنـ وـالـرـسـامـيـنـ ،ـ الـذـيـنـ طـوـرـوـاـ أـسـلـوبـاـ خـاصـاـ فـيـ رـسـمـ الـمـحـمـمـاتـ ،ـ وـأـسـسـ مـكـتـبـةـ ضـخـمـةـ فـيـ قـصـرـهـ ،ـ كـانـتـ تـحـتـويـ مـخـطـوـطـاتـ نـادـرـةـ لـكـتـابـ الـعـصـرـ الـقـدـيـمـ .ـ

وـفـيـ هـذـهـ الـقـسـتـةـ إـزـادـادـ اـهـتـمـامـ الـحـكـامـ وـالـاقـطـاعـيـنـ وـرـجـالـ الـدـينـ بـالـكـتـابـ ،ـ وـرـاحـوـ يـتـسـابـقـونـ عـلـىـ اـفـتـنـاءـ الـمـخـطـوـطـاتـ الـنـادـرـةـ ،ـ الـتـيـ كـانـتـ مـزـدـانـةـ بـالـأـغـلـفـةـ الـفـضـيـةـ وـالـذـهـبـيـةـ وـمـرـصـعـةـ بـالـأـحـجـارـ الـكـرـيـةـ ،ـ وـلـاـ شـكـ أـنـ عـصـرـ شـارـلـمانـ يـعـدـ هـمـزـةـ وـصـلـ مـهـمـةـ تـرـبـيـةـ بـيـنـ الـعـصـرـ الـقـدـيـمـ وـعـصـرـ الـنـهـضـةـ الـلـاحـقـ .ـ

ومن حيث موضوع الكتاب في مطلع العصر الوسيط فقد كان أغلب ما كتب ونسخ في تلك الفترة ذات طابع ديني بحت ، أما الكتب المدنية ، أي المؤلفات الكلاسيكية اليونانية والرومانية ، أو ما كان يعرف باسم الكتب الورقية ، فقد كانت تواجه بالعداء إجمالاً ، وبدأت تختفي الأعمال الهاامة بسبب عدم الاهتمام بإعادة نسخها ، وإزاء قلة الورق راح بعض النساخ يستخدمون هذه الأعمال للكتابة فوقها ، بعد مسح كتابتها الأصلية ، وقد أطلق على هذا النوع من الرقوق اسم « باليمبست » ، واستمر هذا الوضع حتى القرن الثامن الميلادي ، أي حتى عصر النهضة الكارولية ، حيث بدأ الاهتمام بنسخ الكتب المدنية إلى جانب الكتب الدينية .

أما من حيث انتشار الكتاب فقد كاد يكون قصراً على أماكن إنتاجه ، أي على الأديرة والكتائس . فوراء حدران الأديرة التي انتشرت في أوروبا ، كان يتجه الكتاب ويحفظ ، حيث يقوم الرهبان بالنسخ والفنانون بتزيينه بالرسوم ، وحتى المرق كان يتشعب محلياً ، وبعد ذلك يضاف الكتاب إلى مكتبة الدير . ومن أشهر هذه الأديرة ذكر : دير فيغاريوم ثم دير كاسينيو والأديرة التي أسسها المبشرون الإلنديون والأنجلوساكسوني . حتى إن الفضل في بروز النهضة الكارولية يعود إلى حد كبير إلى هذه الأديرة ونشاطها ، وبخاصة إلى نشاط الرهبان المتعلمين ، القادمين من إيرلندا وسكتلندا وإنكلترا ، إلى القارة الأوروبية .

ولا بد من الإشارة بشكل خاص إلى الدور الكبير الذي لعبته الرهبانيات في إنتاج الكتاب وسعة إنتشاره . فقد كان القديس دومينيك ، مؤسس الرهبانية المعروفة باسمه « الدومينيكان » يفترض أن مجاهدة الأفكار والحركات المهرطقة المختلفة يجب أن يتم بالمحاجج المعرفية ، وبالتالي فقد اعتمد هؤلاء الرهبان على الكتاب في كفاحهم ، وأصبح التعليم ضرورة أساسية ، ومن هنا التحق أتباع هذه الرهبانية بالمدارس والجامعات في باريس وأكسفورد وبولونيا ، وكان التعليم إلزامياً على جميع أعضاء هذه الرهبانية ، حيث تأسست المدارس والمكتبات في الأديرة التابعة لهذه الرهبانية في مختلف أرجاء أوروبا . حتى إن الرئيس الخامس لهذه الرهبانية وهو ميرت دي رومانيس ضمن كتابه المعروف « مهام الرهبنة » تعليمات مفصلة لعمل المكتبات وأدائها ، بما فيها التصنيف حسب الموضوعات ، وإعداد الفهارس بالكتب الموجودة وتحليل الكتب ،

ولإمكانية الإعارة للقراء سواء من الدير أو خارجه ، وكانت الكتب في تلك الآونة تربط بسلسلة لحمايتها من السرقة .

أما بالنسبة لرهبانية الفرانسيسكان فإن مؤسسها لم يكن يول أي اهتمام للكتاب ولا للتعليم . بل ركز حل اهتمامه على الرهد ورفض العنف ، حتى إنه كان يدعو إلى المقوله التالية : « من لا يعرف القراءة لا يجهد نفسه في تعلمها ». ومع هذه فإن أتباعه لم يشاطروه هذه الأفكار ، وعمدوا بعد وفاته إلى تشيد أضخم كنائس العصر الوسيط ، كما أن أدبهم كانت غنية بالكتب المنظمة بشكل جيد ، وكانت المكتبة المركبة لهذه الرهبانية الأغنى من نوعها في أوربا والأفضل ترتيباً ، حيث كانت تضم ٧١٨ كتاباً وهذا الرقم كبير جداً بالنسبة للقرن الرابع عشر في أوربا .

هذا وبعد ظهور الجامعات بداية مرحلة تطور جديدة في حياة الكتب والمكتبات ، حيث كان لا بد من إصدار الكتب بأعداد كبيرة من النسخ لتلبية حاجة الطلاب المتزايدة إلى العلم . ولم تكن ورش الأديرة القديمة ولا نوعية كتب الأديرة بقادرة على تأمين هذا الكم الهائل من الكتب في مختلف مجالات المعرفة ، وهكذا فقد افتتحت في الجامعات ورشات عديدة لإنتاج الكتاب بدءاً من إنتاج الرقوق ونسخ الكتاب وتزيينه بالرسوم وإنتهاءً بالتحليل وحتى بالتسويق . وقد كانت الكتب الجامعية تنسخ على ورق رخيص ذات تجعيد متواضع ، ورسوم بسيطة ، أي أن الكتاب عاد ليصبح أداة لنقل المعلومات بعد أن كان أداة لذينة وموضع تقدير . وإلى جانب ورش النسخ الجامعية لم تثبت أن ظهرت الورش الخاصة في المدن المختلفة ، وبازدیاد الطلب على الكتاب يزداد عدد ورش النسخ ، وتزداد أهميتها ، وتنسخ رقعة انتشارها ، حتى إن هذه الورش تحولت إلى مشاريع صناعية حقيقة في النصف الأول من القرن الخامس عشر ، ولم تعد هذه الورش تعمل حسب الطلب فقط ، بل وأصبحت تنتج الكتاب للبيع في الأسواق . وهكذا فقد ظهر الناشرون ، وكان من أشهرهم لاوبر ، الذي كان يرافق الكتب التي يصدرها بقوائم الكتب الموجودة في مكتبه ، والمحصصة للبيع ، وعلى غرار ورشة لاوبر الألمانية كانت توجد ورشات نسخ أخرى في فرنسا وإنكلترا وإيطاليا .

وكان قصب السبق في ميدان إنتاج الكتاب والإتحار به من تصيب إيطاليا ، وذلك نظراً للإقبال الكبير عليه من قبل الملوك والأمراء والتجار والمدارس والجامعات والأغنياء ورجال الكنيسة والعلماء وهوادة جمع الكتب ، وتحولت فلورنسا إلى مركز مهم لإنتاج الكتاب والإتحار به على المستوى الأوروبي ، حتى إن أحد شوارعها كان يحمل اسم « شارع المكتبات » نظراً لكثرتها ما كان فيه من مكتبات ، حيث بالإمكان ليس شراء الكتاب فقط ، بل ولقاء الكتاب والعلماء .

ومن بين أوسع الناشرين الفلورنسين شهيرة في تلك الآونة قسيمازيانودا بستيتشي ، الذي لقب بـ « أمير الكتب » ، فإلى مكتبه كان يتوافد نخبة المثقفين ، بفضل ما جمع فيها من المخطوطات النادرة ، والكتب القيمة ، وبفضل استخدامه أشهر الكتاب في ورشة النسخ لديه ، حيث كان يتلقى الطلبات من الأمراء وهوادة جمع الكتب في مختلف أنحاء أوروبا ، وكان حريصاً على أن يكون النسخ من المخطوطات الأصلية ، فكان أول من ساهم في فتح الطريق أمام صدور المطبوعات المحققة لاحقاً .

الرقابة على الكتاب :

على الرغم من القيد الصارم على التفكير الحر وملحقة الكتاب « الوثنية » و « المهرطقية » فقد ظهر عدد من المفكرين الذين استطاعوا التغيير عن بعض آرائهم ، مما جر عليهم غضب الكنيسة وملحقتها ، وكانت أقدم حادثة على منع الكتاب في تاريخ المسيحية قد ساحت قبل بداية العصر الوسيط وذلك في النصف الأول من القرن الرابع حين منعت مؤلفات أسقف الاسكندرية أريوس بسبب مضمونها الذي يتعارض مع التفسيرات الرسمية ، وتلت ذلك قرارات عديدة رسمية أو دينية تمنع هذا الكتاب أو ذلك ، أو حتى تأمر بإعدامه حرقاً .

وكان القائمة السوداء الأولى بالكتب المحظورة قد ظهرت في نهاية القرن الخامس الميلادي ، في ما عرف باسم « مرسوم فيليسيان » ، الذي تضمن قائمة بالكتب الجيدة والمفيدة ، وأخرى بالكتب المهرطقية والمشبوهة والتي تحظر قراءتها .

ومنذ القرن السادس ، ومع بسط الكنيسة سيطرتها التامة على المجال الروحي ، أصبحت ملحقة الكتاب والكتب تتم عند بسط المغافر عن التعاليم الدينية ، وبخاصة

تلك التي تتحدث عن القديسين ، أو المؤلفات الفرطية ، والخرافية ، ففي نهاية القرن السادس صدر قرار كنسي بإعدام سير الحياة المنسوبة إلى الشهداء ، ومع بداية القرن التاسع اتخذ بطريرك القدسية قراراً مشابهاً .

ولم يقتصر الأمر على إعدام الكتاب الممنوع ، بل وكان يحظر على الناس قراءته تحت التهديد بالحرمان ، وفي هذا الإطار منعت ترجمات الكتاب المقدس إلى اللغات الشعبية ، وحتى امتلاك هذه الترجمات ، وقد ازدادت قرارات المنع هذه في فرنسا وخاصة منذ القرن الثاني عشر . ففي نهاية القرن الثالث عشر أصدر المجلس الكنسي قراراً يمنع أفراد الشعب من امتلاك نصوص العهدين القديس والجديد ، وفيما بعد صدرت قرارات من هذا النوع في إنكلترا وأسبانيا وغيرها .

المؤلفات البليوغرافية :

شهد العصر الوسيط ظهور عدد من المؤلفات المرجعية المهمة ، التي وضعت بالاعتماد على الموسوعات والأعمال البليوغرافية القديمة ، بما فيها كتاب «التاريخ الطبيعي» لمؤلفه بلين في القرن الأول ق.م .

ومن بين المؤلفات البليوغرافية ، التي ظهرت في العصر الوسيط ، برزت وخاصة موسوعة «الإتيمولوجيا» لمؤلفها أسيدور الأشبيلي ، في مطلع القرن السابع الميلادي . والإتيمولوجيا علم يهتم بدراسة أصول الكلمات وتاريخها . وقد ضمت هذه الموسوعة ، التي كانت الأولى من نوعها في العصر الوسيط ، عشرين مجلداً ضمنها المؤلف كل معارف عصره في ميدان القواعد والبلاغة واللغات والطب والحيوان والزراعة والمعادن والأسلحة والسفن وغيرها ، ونظراً لأهميتها فقد انتشرت على نطاق واسع في مختلف أرجاء أوروبا القروسطية ، وظلت ، على الرغم من بعض عيوبها ، المصدر الأساسي للحصول على المعلومات على مدى عدة قرون .

وليس أدل على اتساع وقعة انتشارها من وصول عدد نسخها إلى زهاء ٩٥٠ نسخة ، وكانت كل مكتبة من مكتبات الأديرة تحاول الحصول على نسخة منها ، وعلى أساس هذه الموسوعة وضع ماوروس موسوعته «حول الشؤون الطبيعية» أو «حول الكون» في منتصف القرن التاسع ، مع بعض الاختلاف بين الموسوعتين ،

فالأولى ، وإن كانت من وضع عالم مسيحي ، وكانت شبه وثنية ، نظراً لاعتمادها على المصادر اليونانية والرومانية القديمة ، أما الثانية فكانت ثمرة العصر الوسيط المسيحي ، وقد اتسمت تفسيراتها للظواهر الطبيعية والاجتماعية بالتصوف ، واحتلّت الواقع فيها بالخيال .

ومن الموسوعات القروسطية المهمة الأخرى موسوعة « المرأة الكبيرى » مؤلفها الدومينيكاني فينسنت في النصف الأول من القرن الثالث عشر . وذلك بتكليف من الملك الفرنسي لويس التاسع ، الذي زوده بورشة كبيرة من النساء ، الذين قاموا بعملية التصنيف الواسع ، هذا التصنيف الذي يعد أكبر تصنيف من نوعه حتى القرن الثامن عشر ، وفيما بعد صدرت هذه الموسوعة مطبوعة في أربعة مجلدات ضخمة في سبعينيات القرن الخامس عشر .

وفي القدسية ظهر عدد من الموسوعات نهل من أشهرها « كتاب العطورات » لمطريرك القدسية فرس وذلك في القرن التاسع . تضم هذه الموسوعة عرضاً لـ ٢٨٠ كتاباً كانت في مكتبة المؤلف ، ولا تزال موسوعة فرس محافظة على أهميتها ، لأنها تعرفنا بالكثير من الكتب القيمة ، التي لم تصل إلينا .

وفي نهاية القرن العاشر صدر في القدسية أول عمل معجمي شامل بعنوان Suidas وهو تصنيف يعتمد على الأعمال البيبليوغرافية السابقة ، وقد اعتمد الترتيب الأبجدي في عملية التصنيف ، على غرار المعاجم القديمة .

أما بالنسبة لقواميس الأعلام فقد كان من أبرزها قاماوس « حول الكتاب المسيحيين » هنريك غاند ، وذلك في القرن الثاني عشر ، وهو غني بالمعطيات البيوغرافية والبليوغرافية ، ويتضمن زهاء تسعة آلاف كتاب للمؤلفين المسيحيين البارزين منهم والمغورين .

وفي منتصف القرن الثالث عشر وضع ريكاد من فورنيغال دليلاً بليوغرافياً مهماً بعنوان « في أسماء الكتب » ، ضمّنه عنساوين ٣٠٠ كتاب في مختلف الاختصاصات ، ثم ظهر « صديق الكتاب » مؤلفه ريتشارد دي بوري في القرن الرابع عشر ، الذي ضمّنه مجموعة كبيرة من المؤلفات القديمة والقروسطية .

ولا بد من الإشارة أيضاً إلى الفهارس المخطوطية في المكتبات ، كمصدر مهم للمعلومات البيبليوغرافية ، وإلى الفهارس الجامعية ، التي بدأت بالظهور في نهاية القرون الوسطى (القرنين ١٤ و ١٥) . وكانت هذه الفهارس تقدم المعلومات عن الكتب في المكتبات المختلفة . ففي القرن الرابع عشر وضع الفرنسيسكان فهرساً جاماً بعنوان « سجل الكتب في إنكلترا » ، من خلال مسح ١٨٦ مكتبة فيها ، وكان ثمة فهرس من هذا النوع قد ظهر في القرن الثالث عشر في كلية السوربون .

المكتبات الفروسطية :

سبق وأشرنا إلى أن المكتبات بدأت تذكر في الأديرة والكاثدرائيات وقصور الحكام والأمراء والقطاعيين . أما المكتبات العامة فلم تظهر في أوروبا إلا في نهاية القرون الوسطى .

وقد انتشرت مكتبات الأديرة والكنائس بخاصة في إنكلترا منذ القرن السادس ، (مكتبة كانتربري) والقرن السابع (مكتبة يورك) وفي فرنسا تذكرت أهم المكتبات في ليون وريمس ، وفي ألمانيا تركزت في ماينتس وترير ، ثم مكتبة لوتنسي وفريونا في إيطاليا ، وقد تأسست مكتبة فيرونا في القرن الخامس ، ولا تزال محافظة على أهميتها بفضل ما فيها من نسخ نادرة من الكتب القديمة ، وتضم أقدم مخطوط مؤرخ في أوروبا خلال العصر الوسيط وهو كتاب « سيرة حياة مرتينوس » .

أما مكتبات الاقطاعيين والحكام فكانت غنية بالمؤلفات النادرة والهامة ، ونشرت هنا إلى مكتبة فريدريك الثاني ملك صقلية (القرن الثالث عشر) ، فقد جمع في بلاطه العديد من المترجمين والشعراء والعلماء ، وأشرف على ترجمة الكتب العلمية من العربية واليونانية .

كما لا بد من الإشارة إلى مكتبة السايوات ، التي تأسست في القرن الرابع ، وعلى الرغم من أن الدمار لحق بها أكثر من مرة خلال القرون الوسطى فإن بناءها كان يعاد من جديد ، وقد ازدهرت بخاصة في القرن الثاني عشر ، قبل أن تدمر ، ثم ظهرت من جديد في القرن الرابع عشر ، حيث يدخل المفهوس المحفوظ فيها ، والذي يعود إلى منتصف القرن الرابع عشر ، على أنها كانت تضم حينئذ أكثر من ألفي كتاب ،

وفيما بعد نقلت هذه المكتبة من أفيون إلى الفاتيكان مقر البابا الجديد ، ولم تلبث أن أصبحت واحدة من أهم المكتبات ليس في إيطاليا وحدها ، بل وفي أوروبا كلها .

الشرق الأقصى في العصر الوسيط

لم يحدث في بلدان الشرق الأقصى ، وبخاصة الصين ، ذلك الانقطاع في التطور الحضاري ، الذي شهدته الثقافة اليونانية - الأوروبية . ففي القرن السابع حفقت الصين تطوراً حضارياً مهماً ، وشهدت قفزة ثقافية كبيرة ، بما في ذلك ميدان إنتاج الكتاب . حيث كان لانتشار الديانة الجديدة - اليوذية - دور كبير في زيادة الإقبال على الكتاب ، وانتشاره على نطاق واسع . وقد ساهم الحكماء في تنظيم وتشجيع المشاريع لإنتاج الكتاب . وإزاء تزايد عدد القراء كان لابد من زيادة عدد النسخ ، ومن المعروف أن الصينيين عرّفوا طريقة سريعة وفعالة لنسخ الكتب بوساطة التقوش الحجرية .

ففي عهد أسرة تانغ - القرن السابع - بذلك الحكماء جهوداً كبيرة لتطوير العلوم والفنون والإحياء الامبراطورية القديمة . ووصلت الصين ذروة تطورها الثقافي في عهد الامبراطور مينغ هوانغ (النصف الأول من القرن الثامن) . وفي بداية حكم هذه الأسرة تأسست مكتبة كبيرة في العاصمة تشانغ - آن ، كانت تضم أكثر من 100 ألف لفافة .

ومنذ القرن الثامن بدأ إنتاج الكتاب بوساطة القوالب الخشبية ، وإن كان بعض المؤرخين يؤكد أن نسخ الكتاب بهذه الطريقة قد بدأ في الصين منذ القرن السادس . على أن أقدم كتاب مطبوع بوساطة القوالب الخشبية وصلنا يعود إلى النصف الثاني من القرن التاسع ، ويتضمن النص اليوذى « سوترا الماسية » وهو محفوظ الآن في المكتبة البريطانية في لندن ، وبالإضافة إلى ذلك فهناك مدونات تؤكد عرض الكتب المدرسية والمؤلفات المعجمية للبيع ، وأن أكثرها كان منقوشاً على الخشب أو مطبوعاً على الورق .

ومع النصف الأول من القرن العاشر قرر الوزير فنك ناو إصدار طبعة تقديرية للمؤلفات الكلاسيكية ، وبذلك بدأت مرحلة نوعية جديدة في تطور الطباعة بوساطة

القوالب الخشبية ، حتى إن اختراع الطباعة ينسب إلى فنك تاو ، بسبب هذا المشروع الكبير ، الذي يعد مؤشرًا لبدء ازدهار الطباعة بالقوالب الخشبية ، وهذا الاختراع قد لا يكون أقل أهمية من اختراع غوتينيرغ للطباعة .

وفي عهد أمارة سونغ (٩٦٠ - ١٢٨٠) أصبحت الأكاديمية القومية مركزاً للنشاط الظباعي ، ثم تعددت جهات إصدار الكتاب . وهكذا فقد صدرت آلاف الكتب في الطب والزراعة والأدب والدين والتاريخ . بما في ذلك طبع الكتاب البيودي « تريبيتا كا » في أكثر من خمسة آلاف كراس (أكثر من ١٣٠ صفحة) .

وقد ساهم ذلك كله في ظهور المكتبات العامة وتطورها مما فيها المكتبة الامبراطورية في خانجو العاصمة .

وفي القرن الحادي عشر تم اختراع جديد في تقانة الطباعة - اختراع الحروف المتحركة ، بوساطة الحروف الخشبية ، بدلاً عن القوالب الخشبية . على يد بي شينغ لكن هذا الاختراع لم يلق الاهتمام الكبير في حينه .

وفي كوريا : شهد إنتاج الكتاب إزدهاراً ملحوظاً في القرون الوسطى ، ومن المعروف أن الكوريين مدربون للصينيين بالكثير في ميدان الكتابة والطباعة ، فقد أخذوا عنهم النظام الإلدوغرافي للكتابة ، واللغة ، والطباعة بوساطة النقوش الحجرية ، التي ساهمت في ظهور الطباعة بوساطة القوالب الخشبية ، وإن كان بعضهم يقول إن كوريا سبقت الصين في ميدان الطباعة بوساطة القوالب الخشبية .

وفي القرنين العاشر والحادي عشر ازدهرت الطباعة الكورية ، وازداد الإقبال على الكتاب نتيجة تطور التعليم في المدارس والجامعة ، وازدهرت تجارة الكتب سواء في البلاد أو مع الصين واليابان ، وصدرت الطبعة الكورية من « تريبيتا كا » ثم الطبعة الثانية في القرن الثالث عشر ، ولا تزال الألواح الخشبية (وعددها ٨١٢٥٨ لوحًا) محفوظة في أحد الأديرة البوذية باعتبارها من آثار الكنوز القومية .

وفي القرن الثالث عشر حقق الكوريون فقرة نوعية مهمة في ميدان الطباعة بوساطة الحروف المتحركة المعدنية ، بدلاً من الخشبية ، وكان أول كتاب في العالم يطبع بهذا النوع من الحروف هو « قواعد السلوك » عام ١٢٣٤ في ٢٨ نسخة . وفي

نهاية القرن الرابع عشر تأسس في كوريا « معهد الدولة لطبع الكتب » ووضعت الطباعة تحت رقابة صارمة ، مما حال دون انتشارها وتحولها إلى مهنة محاربة وذلك خوفاً من انتشار الكتابة في الأوساط الشعبية ، وبالتالي فقد ظلت الطباعة قصراً على البلاط ومن يتحمّل البلاط حق ممارسة هذه المهنة ، وهذا ما وقف حجر عثرة في طريق تطور الطباعة الكورية ، وقلل من تأثيرها في التطورات الاجتماعية .

وبعد الغزو الياباني لكوريا دمر اليابانيون أو نهبوها القسم الأكبر من الأحرف المعدنية الكورية ، مما دفع بالكوريين لاحقاً إلى العودة إلى الطباعة بالقوالب الخشبية أولًا ثم عادوا إلى المعدنية .

ولاشك أن الكوريين لعبوا دوراً بارزاً في ميدان الطباعة ، فهم أول من استعمل القوالب الخشبية ، وكانتوا أول من فكر بالطباعة بالأحرف المعدنية المتحركة . ولا يستبعد أن يكونوا قد أثروا على ظهور الطباعة في أوروبا على يد يوحنا غوتبرغ .

وفي اليابان : أيضاً كان للثقافة الصينية دور كبير في تطور الثقافة اليابانية . فعن الصينيين أحد اليابانيون الكتابة والمدرسة البوذية ، التي تحولت إلى القسوة الدينية والسياسية في البلاد خلال القرن الشامن . وإلى الصين كان يرقد الطلبة اليابانيون للدراسة ، ويعودون منها مزودين بالمنحوتات الثقافية المهمة ، هذا عدا عن دور المبشرين الصينيين في العاصمة اليابانية وما كانوا يحملونه معهم من الكتب الدينية والطبية والأدبية ، ومن تقانة الطباعة بوساطة القوالب الخشبية . وفيما بعد بدأ اليابانيون يكتسبون بلغتهم القومية بدلاً من الصينية ، وازداد الإقبال على الأعمال الأدبية ، بالإضافة إلى الكتب الدينية البوذية .

وأخيراً ففي الهند تميزت القرون الوسطى بهضبة كبيرة في ميادين العلم والأدب والرياضيات ، وتطور إنتاج الكتاب بتأثير سريعة ، لتلبية حاجات المدارس والجامعات والمكتبات الجامعية .

لكن الحروب المختلفة ألحقت الأضرار الكبيرة بالكتب والمكتبات ، في قصور الحكم والأغبياء وفي المعابد ، وكان نسخ الكتب يتم على يد الرهبان في المعابد ، بالإضافة إلى بعض الورش التي كانت تقوم بالنسخ للأغنياء ، ومع قدوم المسلمين

ظهرت ورش نسخ القرآن الكريم والنصوص الأخرى بالعربية والفارسية ، وفي القرون الوسطى ظلت الهند تستخدم سعف النخيل ولحاء شجر البتولا في الكتابة ، ولم يستعمل الورق فيها إلا في القرن الثالث عشر وفي شمال الهند فقط أما في بقية المناطق حيث الديانات الأخرى ، فقد ظل سعف النخيل يستخدم في المعابد اليهودية لفترة طويلة .

بعض خصائص الكتب والمكتبات في العصر الوسيط :

تميز إنتاج الكتاب وتأسيس المكتبات في العصر الوسيط في أوروبا بعدد من السمات والخصائص :

- ١ - ازدهار الكتاب الديني وقلة الكتب العلمانية (الوثنية) .
- ٢ - ازدهار مكتبات الأديرة والكنائس وقلة عدد المكتبات العامة .
- ٣ - قلة عدد المتعلمين وبالتالي تناقص عدد القراء مما أدى إلى ضعف إنتاج الكتاب .
- ٤ - كانت مكتبات العصور الوسطى الأوروبية فقيرة جداً بالمراجع بالمقارنة مع مثيلاتها من المكتبات العربية والإسلامية ، فيبينما كانت محتويات الأخيرة تعد بالآلاف لم تكن محتويات الأولى تعد إلا بالعشرات والملفات .
- ٥ - كان نسخ المخطوطات في أغلبها من رجال الدين .
- ٦ - تزايد الاهتمام بالمكتبات العامة بعد انتشار التعليم المدرسسي والجامعي .
- ٧ - الاعتماد المطرد على الرقوق في النسخ بدلاً من ورق البردي .
- ٨ - حلول الكراس محل اللفافة .
- ٩ - الاهتمام بتحليل الكتاب وتزيينه .
- ١٠ - الاهتمام بالرسم كوسيلة مهمة في التواصل بسبب تفشي الأمية .

ثانياً - الكتب والمكتبات الأوروبية في عصر النهضة :

بعد القرن الخامس عشر نهاية للعصر الوسيط في أوروبا وبداية لعصر النهضة ، وفي هذا العصر بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الكتب والمكتبات الأوروبية ، تميزت بالتطور المطرد في مجال إنتاج الكتاب بعد انتقاله من الشكل المخطوط إلى الشكل المطبوع ، وباتساع رقعة انتشاره وبظهور العديد من المكتبات الضخمة في مختلف

العواصم والمدن الأوربية ، كما تميزت هذه المرحلة بنشوء علم جديد وتطوره هو علم المكتبات ، وتأسيس المكتبات الوطنية .

والم الواقع أن بداية الانبعاث الثقافي في إيطاليا تعود إلى نهاية القرن الثالث عشر ، هذا الانبعاث الذي دعى بحركة « الإحياء » نسبة إلى لقب رجال الإحياء ، الذي كان يطلق على جميع الأدباء وال فلاسفة وعلماء اللغة الذين يقومون بجمع وتدريس التراث القديم ، وبخاصة تراث اليونان والرومان القدماء .

وقد نشط رجال الإحياء هؤلاء في البحث عن المؤلفات الأدبية والعلمية القديمة في مكتبات الأديرة والكنائس والمكتبات الأخرى . ثم انكبوا على تحريرها ونسخها وترجمتها و دراستها ، فأعادوا إلى هذه المؤلفات مكانتها وأهميتها ، بعد أن كانت توسم بالوثنية ، وتوضع في المرتبة الثانية بعد الكتب الدينية ، وتلتحق وتحرق .

وكان بزارك وبوكاشيو في طليعة الباحثين عن المخطوطات القديمة ، واستطاع بزارك جمع مكتبة ضخمة من هذه المخطوطات القيمة والنادرة . ولازال في باريس حتى اليوم قائمة بالكتب التي قرأها وسحلها .

ولم يكتف بزارك بجمع المخطوطات ، بل كان يراجعها ويقارن بين النسخ المختلفة للكتاب الواحد ، لكي يكتشف النص الأصلي . ثم يقوم بنسخها أو يكلف أحداً بذلك . ومن هنا يقال إن عملية التحليل التقديي للنصوص في العصر الحديث وتحقيق مؤلفات الكتاب القدماء بدأت مع بزارك .

وفي هذه المؤلفات اكتشف بزارك دعوة الكتاب القدماء إلى ضرورة تأسيس المكتبات العامة وفتحها أمام الجميع ، فكان أول من يادر إلى تأسيس مكتبة عامة على غرار المكتبات الرومانية العامة ، وقرر أن يهسب مكتبه الغنية إلى الكنيسة شرط أن تصبح نواة مكتبة عامة .

وفي مرحلة « حمى جمع المخطوطات » التي اجتاحت أوروبا يبرز يقول نقولي كواحد من أشهر هواة جمع الكتب ، وقد أنفق ثروته الطائلة على ذلك ، فقد كان يوصي عليها من مختلف البلدان ، ويطوف أرجاء إيطاليا بحثاً عن المخطوطات النادرة في الأديرة والكنائس والقصور . ولم تثبت مكتبه أن تحولت إلى مركز للمخطوطات

القديمة يضم زهاء ٨٠٠ مخطوط ، أهدتها قبيل وفاته إلى أحد الأديرة شرط أن توضع في متناول جميع الباحثين . وفيما بعد تولى أحد أصدقائه من آل ميديتشي تشييد بناء هذه المكتبة القيمة ، وفتح أبوابها للجمهور ، وأصبحت تعرف باسم « مكتبة مارسيانا » ، واستمر في إغاثتها بالمخخطوطات القديمة ، مما جعلها تجذب العديد من مشاهير العلماء والكتاب في فلورنسا ، واستمرت على هذا النحو حتى القرن السابع عشر ، حيث بدأت تفقد كتبها وأهميتها .

و قبل سقوط القدسية كان الكثير من الرهبان والمتعلمين اليونان يغادرونها باتجاه إيطاليا حاملين معهم كتبهم ، ومن أشهر هؤلاء بازيليوس بيساريون ، الذي حلب معه ٧٥٠ مخطوطاً أسس بها مكتبة لم تلبث أن تحولت إلى ملتقى للنخبة الإيطالية المتعلمة المهتمة بالثقافتين اليونانية واللاتинية .

ومن بين أوسع الأسر شهرة في رعاية الثقافة والأدب يأتي آل ميديتشي ، الذين كانوا ينفقون المبالغ الطائلة على شراء المخطوطات النادرة ، وإهدائها إلى المكتبات ، ويرسلون المبعوثين إلى الشرق بحثاً عن المخطوطات ، وقد فتحوا مكتبيتهم « لاورنزيانا » أمام الباحثين ، وقد أمتها أشهر الشخصيات في عصر النهضة ، وارتبطت بها ثقافة مرحلة بكاملها . وفيما بعد فتحت أمام الجمهور ، ووضعت مخطوطاتها الثلاثة آلاف في متناول القراء ، وبعد احتراز الطباعة استمرت في جمع الكتب المطبوعة إلى جانب المخطوطة ، وتضم اليوم أكثر من ١١ ألف مخطوط و ٤ آلاف من الكتب المطبوعة القديمة ، وأكثر من ٥٠ ألف كتاب آخر .

وفي إيطاليا أيضاً اشتهرت مكتبة البابوات أو مكتبة الفاتيكان ، التي لم تلبث أن تحولت إلى أهم مكتبة في العالم ، وهي اليوم من أغنى مكتبات العالم بالمخطوطات النادرة والكتب المطبوعة القديمة (٦٠ ألف مخطوط و ٧ آلاف من الكتب القديمة) . وقد ورد في إحدى الوثائق البابوية : « يجب أن تكون المكتبة مفتوحة لكل المتعلمين في عصرنا والعصور اللاحقة » . وبالفعل فقد كان يوسع القراء آنذاك استعارة المخطوطات والكتب النادرة ، وعلى ذلك تدل القوائم المطولة للاستعارة . ولم تكن النهضة المكتبية قصراً على إيطاليا ، بل وشملت مختلف البلدان الأوروبية في فترات مختلفة . ففي إنكلترا مثلاً ازداد عدد المؤلفين بحركة الإحياء خلال القرن

الخامس عشر وأزداد الاهتمام بمؤلفات الكتاب الكلاسيكيين ، وتحولت مكتبة جامعة أكسفورد إلى مركز لجمع الكتب والمخخطوطات التي كان يُؤتى بها من إيطاليا وغيرها من المدن الأوروبية .

وفي فرنسا أيضاً ازداد الإقبال على المؤلفات الكلاسيكية، وبدأ الفرنسيون تجميع الكتب والمخخطوطات النادرة ، وفي مطلع القرن السادس عشر تأسست المكتبة الملكية الثانية في فوتينيلو ، بالإضافة إلى مكتبة بلووا ، وفيما بعد انضمت المكتبات الملكيتان في مكتبة واحدة . وفي عهد فرانسوا الأول بدأ تطبيق قانون الإيداع ، الذي كان أهم مصدر لتزويد المكتبات العامة بالكتب والمخخطوطات ، وإلى هذا الملك يعود الفضل في إصدار هذا القرار ، المعروف باسم « النسخة الإلزامية » .

الكتب والمكتبات في عصر الطباعة في أوروبا

مع إنتشار التعليم في أوروبا وظهور المدارس والجامعات وأزدياد عدد المتعلمين ازداد الإقبال على الكتاب والمكتبات ، ولم تعد ورش التسخ كافية لتلبية هذا الإقبال المتزايد بوقتات سريعة ، ووجد المهيمنون أنفسهم أمام مسئليتين أساسيتين :

- إيجاد مادة جديدة ورخيصة للكتابة كبدائل عن الرقوق ، التي لم تكن بكافية ، والتي كانت غالية الثمن .

- البحث عن حل تكنولوجي للتسخ بحيث يتم بسرعة وبأقل كلفة ممكنة .

ومنذ منتصف القرن الخامس عشر بدأ إنتاج الورق بكثير ، وقد تركز إنتاجه في إيطاليا أولاً ومن ثم ظهرت معامله في العديد من البلدان الأوروبية .

ومع استعمال الورق في أوروبا بدأت الطباعة بالقوالب الخشبية ، التي كانت تقتصر على رسوم القديسين مع بعض التصوصن . ولكن هذا النوع من الكتب كان موجهها للأمينين ، وكان قليل الصفحات وبدائياً ومكلفاً ، ومع هذا فقد ظلت الطباعة بالقوالب الخشبية مستمرة حتى بعد اختراع الطباعة بأكثر من نصف قرن .

وهكذا لم تستطع القوالب الخشبية أن تقدم الحل للمسألة الثانية - إنتاج الكتاب بأعداد كبيرة من النسخ خلال فترة قصيرة . ويعود الفضل في ذلك إلى اختراع الطباعة بالأحرف المتحركة على يد غوتيرغ ، الذي اعتمد على المعادن في تصميم الحروف ، وكانت باكورة أعماله طباعة كتاب « الشوراء » في ١٢٨٠ صفحة (في مجلدين بالحجم الكبير) وذلك في منتصف القرن الخامس عشر .

والمتوقع أن بعضهم يشكل في ريادة غوتيرغ للطباعة ، حيث تسب هذه الريادة إلى بيتر شافر الألماني وإلى الهولندي كوسنر وإلى التشيكى بروكوب والدفوغل ، والإيطالى بامفيلو كاستالادى .

ويغض النظر عن هوية المخترع وحيثيته فإن الطباعة لم تلبث أن بدأت تنتشر على نطاق واسع وبوتائر سريعة جداً ، وقبل وفاة غوتيرغ كانت الطباعة قد وصلت إلى إيطاليا ، وراح تتطور فيها بسرعة بالغة ، وانتشرت مدينة البندقية كمرکز للكتاب المطبوع ، وإليها بدأ يتواجد رجال الطباعة من مختلف أرجاء أوروبا ، ومن بين هؤلاء اشتهر وخاصة الدومانوسيو ، الذي انكب على طباعة المؤلفات الكلاسيكية اليونانية بالحجم الصغير وبأسعار رخيصة ، مما جعل كتبه تنافس كتب الناشرين الآخرين ، بفضل ذوقه المرفيع وثقافته الواسعة ، وبخاصية في اختيار المؤلفات المناسبة للطباعة ، وبراعته في إخراج الكتاب ، فلا غرابة أن يطلق على نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر اسم مرحلة مانوسيني في تاريخ الطباعة .

أما في فرنسا فقد تأخر ظهور الطباعة وانتشارها نسبياً بسبب معارضة نقابة النساخ وبايعة المخطوطة ، التي كانت تحكر إنتاج الكتاب في باريس ، لكن استيراد الكتاب المطبوع من ألمانيا وإيطاليا لم يثبت أن أضعف موضع هذه النقابة ، ولم تلبث أول مطبعة أن ظهرت في المسؤولون على أيدي ثلاثة من الألمان . وبعد سنوات قليلة تحولت باريس إلى مركز مهم لإنتاج الكتاب المطبوع نظراً للإقبال الكبير عليه من قبل العلاب والمتفقين وهواة جمع الكتب ، وفي البداية كانت الكتب المطبوعة تقتصر على المؤلفات الكلاسيكية ومن ثم بدأ طباعة الكتب الدينية وغير الدينية ، وكانت تطبع باللاتينية ، أما أول كتاب مطبوع صدر بالفرنسية فكان في عام ١٤٧٧ وهو « وقائع فرنسا الكبير » الذي أصدره الناشر باسكى بونهورم في ثلاثة مجلدات .

وقد تميز القرن السادس عشر بنشاط أسرة دي فياري في ميدان الطباعة ، حيث قامت هذه الأسرة بطبع مؤلفات مشاهير الكتاب الإيطاليين ، كما أصدرت السلسلة المعروفة « سلسلة التاريخ اليوناني والروماني » .

هذا في البندقية ، أما في فلورنسا فقد اشتهرت أسرة جوتا ، وأسرة مازوكي في روما . وفي منتصف القرن السادس عشر تأسست في روما مطبعة الفاتيكان ، كما اشتهرت « مطبعة ميديتشي للغات الأجنبية » ، التي كانت تطبع الكتب باللغات الشرقية من عربية وفارسية .

وعلى قاعدة مطبعة ميديتشي أسس البابا أوربان الثامن « المطبعة المتعددة اللغات » ، التي بدأت الطباعة بـ ٢٣ آبجدية ، وفيها تدرب تيسينا بودوني أشهر طابع وسابك للحروف في إيطاليا ، والذي أطلق عليه لقب « فنان البساطة » .

لكن الطباعة الإيطالية بدأت تفقد أهميتها السابقة منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر .

وقد احتلت أسرة أستين مكانة بارزة بين الطابعين - الناشرين ، فقد تميزت إصداراتها بجودتها وبالاعتبار الدقيق لعناؤين ، بما في ذلك طبعات التوراة والمؤلفات الكلاسيكية والمعاجم . وبعد وفاة الأب هنري حل ولده روبير محله . وفي عهده بلغت الطباعة الفرنسية أوج ازدهارها ، حتى إن هذه الفترة - منتصف القرن السادس عشر - تعد بحق العهد الذهبي في تاريخ الطباعة الفرنسية . وبعد وفاة روبير حل ولده هنري الثاني محله واستمر في إصدار المعاجم ومن أشهرها قاموس « كنز اللغة اليونانية » .

وفي النصف الثاني من القرن ١٨ برزت أسرة ديدو ، التي اشتهرت بالعمل في ميدان الطباعة والنشر ، والتي تميزت بإصداراتها المتداولة للمؤلفات الكلاسيكية والمعاصرة ، وكثيرها الرخيم .

على أن الطباعة في فرنسا لم تقتصر على باريس ، بل وامتدت إلى ليون ونحوه ، مدينة أخرى وأصبحت تسبح ١٥٪ من الكتب المطبوعة في أوروبا وتحتل المرتبة الثالثة بعد إيطاليا ٤٪ وألمانيا ٣٪ .

وفي هولندا كان لسياسة الليبرالية دور كبير في ازدهار حركة الطباعة والنشر، حيث لم يكن ثمة رقابة على النشر لا من قبل الدولة ولا من قبل الكنيسة، مما جعل الطباعة والنشر يصلان أو جهساً ذهبياً في القرن السابع عشر. وقد ساعد على ذلك أيضاً جودة الطباعة، ورخص الكتاب وجود شبكة توزيع واسعة، هذا بالإضافة إلى السياسة الليبرالية إزاء الأفكار الجديدة.

كانت مدينة أنتويرن الهولندية مركزاً لصناعة الكتاب، حيث صدر فيها في القرن السادس عشر أكثر من نصف الكتب المطبوعة في البلاد، وكان يعمل فيها نصف عدد عمال الطباعة في هولندا، ومن أشهر الطابعين في أوروبا آنذاك كريستوف بلاتين، الفرنسي الأصل، الذي عدّت مطبعته الأفضل من حيث جودة المخطوط وبراعة الفنانين، والذي أصدر «التوراة» بعدة لغات في ثمانية مجلدات ضخمة، هذا بالإضافة إلى العديد من المؤلفات الكلاسيكية في العديد من مجالات العلوم، كما طبعت فيها الأطلال والأعمال الموسيقية. وقد صارت مطبعته ١٦ آلة طباعة ويقال إن هذا العدد وصل إلى ٢٢ آلة، وفيما بعد تأسس في هولندا متحف «بلاتين - مورتوس»، وبعد الأفضل من بين متاحف تاريخ الطباعة في العالم.

وبعد أن قرأت بلمون بزم كريستوف بلاتين بزم أسرة الزفير، التي أسسها لودفيك، وعمل أفرادها في مجال الطباعة والنشر والتوزيع. وأصبحت الكتب الصادرة عن مطابعها في الطليعة من حيث الدقة والجمال والأسعار الرخيصة بالإضافة إلى المضمون الجيد، ويقدر عدّ الكتب التي أصدرتها هذه الأسرة بـ ٥٠٠٠ كتاب.

وهناك أسرة بلو، التي تخصصت في نشر المنشآت والأطلال، حيث نشرت «الأطلس العام» في ١١ مجلداً، وقد ترجم إلى الألمانية والفرنسية والإسبانية، وكان الأفضل من نوعه، لا بل إنه لا يزال مرجعاً مهماً حتى يومنا هذا.

وفي إنكلترا كان وليم كاكستون، تاجر الصوف السابق، أول من عمل في ميدان الطباعة، حيث تعلم هذه المهنة في ألمانيا، وفي لندن أسس مطبعته الشهيرة، ثم راح بهم بتطوير شبكة التوزيع، وسرعان ما انتشرت الطباعة في المدن الإنكليزية، بفضل جهود الطباعيين الألمان، ففي الربع الأخير من القرن الخامس عشر أسس تيودور رود الألماني أول مطبعة في مدينة أوكسفورد الجامعية.

غير أن القيد المفروضة على حرية الطباعة وقفت حجر عثرة في طريق تطور الطباعة في إنكلترا ، فكان الناشرون الإنكليز يطبعون كتبهم في البلدان الأخرى ، ولم يكن يسع الناشر أن يصدر أي كتاب إن لم يكن عضواً في نقابة الطابعين التي تأسست عام ١٥٥٧ .

وهكذا فلم تشهد إنكلترا نهضة طباعية حقيقة إلا في القرن الثامن عشر ، حيث وصلت مستوى الطباعة الأوروبية ، لا بل وتفوقت عليها في بعض التفاصيل ، وذلك بفضل سياق الحروف الشهير وليم كسلتون ومعاصره جون باسكترفيل . فقد صنع هذان السياكان أحجاماً لحروف وأسس الأخيير مسبكاً للحرف ومعملاً للورق ومطبعة خاصة ، لازالت حروفها محفوظة حتى اليوم في كمبرidge .

ثالثاً - المكتبات الوطنية في أوروبا :

شهد النصف الأول من القرن التاسع عشر ولادة علم جديد هو علم المكتبات ، الذي يُورخ له بصدور « قواعد بانزي » ، وهي أول قواعد للفهرسة في العالم . وراح العلم الجديد يتتطور بوتائر سريعة ، كما تطورت قواعد التنظيم والفهرسة وخدمة القراء . وتأسست الجمعيات المكتبة (جمعية المكتبات الأمريكية) وظهر عدد من الباحثين البارزين في هذا العلم أمثال ملفيل ديوبي ، الذي وضع تصنيفه المعروف ، وأسس أول مدرسة لتدريس علم المكتبات في جامعة كولومبيا . وفيما بعد زاد عدد الجامعات الأمريكية ، ذات الأقسام المكتبة ، على الملة ، ثم بدأ هذا العلم يدرس في العديد من جامعات العالم الأخرى مثل ألمانيا وفرنسا والاتحاد السوفييتي السابق ، حيث يوجد زهاء ٥٠ جامعة ومعهدًا تدرس علم المكتبات ، وتنبع الدرجات العلمية فيه .

ولا يزال هذا العلم - شأنه شأن العلوم الأخرى - يتتطور ويتحسن ، وبخاصة بعد دخول الكمبيوتر ميدان المكتبات ، مما أحدث ثورة حقيقة في عالم المعلومات . ولا شك أن هناك صلة متبادلة بين التقدم العملي وظهور المكتبات وتطورها ، فمع ولادة أوروبا الحديثة تبدأ مرحلة تأسيس المكتبات الوطنية والجامعية ، وتوضع الأسس العلمية لتنظيم عمل المكتبات .

ولما كانت ألمانيا هي أغنى بلد أوربي فقد كانت السباقة إلى دخول النهضة المكتبة ، وكانت المكتبة الملكية ، التي أسسها الامير اطهور مكسيميليان في نهاية القرن

الخامس عشر ، غنية بالمحظوظات والكتب القديمة المزينة بالرسوم الفنية النادرة ، وفيما بعد لم يعد الأمراء يهتمون بالتوابي الفنية بقدر اهتمامهم بموضوع الكتاب ، وفي مطلع القرن السادس عشر تأسست في ألمانيا المكتبة العامة على يد الأمير فريديريك الثالث ، الذي حرص على تزويدها بالكتب في مختلف مجالات المعرفة .

وفي ميرفيغ تأسست المكتبة الملكية ، التي توسيع في بداية القرن التاسع عشر ، بعد أن رقدت بكتب ١٥٠ مكتبة من مكتبات الأديرة ، ولا تزال أغنى مكتبة في ألمانيا . أما مكتبة البلاط في هايدلبرغ فقد قام الامير اطور مكسيميليان بتقديم أفضل محتوياتها هدية إلى مكتبة الفاتيكان وقدرت بـ ٣٥٠٠ خطوط منها ٤٣٠ باليونانية و ٨٤٦ بالألمانية و ٣١٨ بالفرنسية وهذه ثروة كبيرة لا تقدر بثمن .

وفي منتصف القرن السابع عشر أسس الدوق أوغست الصغير المكتبة المعروفة باسمه ، وشارك في تنظيمها فوضع لها فهرساً ألمانياً بحجم ٤٠٠٠ صفحة ، وبعد عدة سنوات أصبحت من أكبر المكتبات الألمانية (١٦٠ ألف مجلد) . ويعود الفضل في تطورها إلى جهود أمينها العالم وليم لايبيوس ، الذي فتح أبوابها أمام القراء ، ووضع لها فهرسين : ألمانياً وموضوعياً ، ودعا في مقاله « تأملات حول الأسلوب الأفضل لإصلاح المكتبات » ، إلى تأسيس المكتبات وإغنائها وتنظيمها ووضعها في منتازل الجميع ، لما للنبل من دور كبير في تطور المجتمع وتقدمه .

ومع بداية القرن الثامن عشر شيد لايبيوس بناء ضخماً للمكتبة على نمط البيانيون في روما القديمة . وكان ذلك أول بناء يشيد خصيصاً لمكتبة في أوروبا منذ العصور القديمة .

وفي نهاية القرن السادس عشر فتحت المكتبة الملكية لآل هابسبورغ أبوابها للعامة ، بعد أن تولى إدارتها هو غوبلوتوس ، الذي وضع فهارسها (الفهرس الألقابي في خمسة مجلدات ثم فهرس المحظوظات) ، وهي اليوم من أغنى مكتبات العالم من حيث عدد الكتب القديمة (٧٨٣٧ كتاباً) والمحظوظات (٣٥ ألف خطوط) .

وإلى جانب ذلك فقد ازدادت أهمية المكتبات الجامعية ، ومن أشهرها تلك التي تأسست في غيتنغن في النصف الأول من القرن الثامن عشر . وكانت لها ميزانية سنوية

لاقتاء الكتب الجديدة الازمة للبحث العلمي وللطلاب . و كانت مفتوحة لكل الراغبين ، الذين يحتاجون إلى المراجع العلمية ، و منظمة حسب أحدث الطرق آنذاك ، وبخاصة حسب مفهوم لابنیس لعلم المكتبات مما جعلها تعد واحدة من أهم المكتبات في ذلك الوقت .

وفي إيطاليا أيضاً بذأ عدد المكتبات يزداد ، و تطورت مكتبات المرأة والجامعات والمكتبات الخاصة بفضل جهود ونشاط هواة جمع الكتب والمحظوظات القديمة ، الواقع أن الفضل في ظهور المكتبات العامة في إيطاليا يعود إلى مبادرات فردية، لا إلى جهود الدولة . ففي بداية القرن السابع عشر أسس العالم الجغرافي روتا أول مكتبة عامة في روما . ثم أسس الكاردينال كازاناتا مكتبة أخرى عرفت باسمه ، وفتحت أبوابها للعامة في مطلع القرن الثامن عشر ، ولم تلبث أن أصبحت من أكبر وأهم المكتبات العامة في روما .

وإلى أحد هواة جمع الكتب - أنطونيو مالليسيكي - يعود الفضل في تأسيس «المكتبة المركزية» التي لاتزال قائمة في فلورنسا .

كان مالليسيكي أكبر خبير في شؤون المكتبات في إيطاليا في القرن الثامن عشر ، وقد أهدى مكتبيته الخاصة (٣٠ ألف مجلد) لمدينته فلورنسا ، وفتحت أبوابها للعامة في منتصف القرن ، وبعد عشر سنوات انضمت إليها «مكتبة البلاط» من هايدلبرغ، التي تلقنها مكتبة الفاتيكان كهدية في بداية القرن السابع عشر ، وهكذا ظهرت (المكتبة الوطنية المركزية) التي تحتوى على ٤ ملايين كتاب و ٢٤ ألف خطوط و ٣٦٥٥ من الكتب المطبوعة القديمة .

وفي بداية القرن السابع عشر أسس الكاردينال بوروميرو «مكتبة الاميروزيانا» نسبة إلى القديس أميروز ، في ميلانو ، ووضع نظامها الداخلي ، الذي يحدد عملها ، وجعلها مكتبة عامة ومرکزاً للنشاط العلمي ، وافتتح الكثير من المحظوظات النادرة من ألمانيا وإسبانيا ومصر وتركيا ، مما رفع عدد هذه المحظوظات إلى ٣٥ ألفاً ، باليونانية واللاتينية والمفارسية والعربية من العصرين القديم وال وسيط ، بما فيها أحجزاء من «الألياذة» (من القرن الرابع) ونسخة من «الكوميديا الإلهية» (القرن الرابع عشر)

وعدد مخطوطات لليوناردو دي فيتشي . ولاتزال « مكتبة الامبروزيانا » من أغنى المكتبات في العالم ، وبخاصة بالمخطوطات النادرة ، المزданة بالرسوم .

أما فرنسا فقد بلغت النهضة المكتبية فيها شأنًا عظيمًا في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ففي هذه الفترة كانت تعيش في باريس مجموعة من العلماء الموسعين ، الذين كانت طبيعة أبحاثهم تتطلب وجود مكتبات غنية ومنظمة .

وفي طبعة هذه المكتبات كانت « المكتبة الملكية » ، التي كان يهتم بها الوزير كولير ، أحد أشهر هواة جمع الكتب في أواسط القرن السابع عشر ، فقد كانت لديه مكتبة خاصة ، الغنية بالمخطوطات القروسطية والشرقية ، زادت على ١٥ ألف مخطوط ، بالإضافة إلى الكتب المطبوعة القديمة . ومنذ الثورة الفرنسية أصبحت هذه المكتبة تعرف باسم « المكتبة الوطنية » ، التي يزيد عدد ما فيها اليوم على ستة ملايين مجلد وعشرة ألف مخطوط ، ويرتادها زهاء ألف قاريء يومياً ، يستفيدون من حوالي مليون كتاب في العام ، علماً أن عدد الموظفين والمتخصصين فيها يزيد على الألف ، وتساهم في تطوير علم المكتبات من خلال إصدار مجلة « البيليوغرافيا الفرنسية » .

ومن المكتبات الكبرى الأخرى في فرنسا اشتهرت مكتبة الوزير مازارين ، الذي عرف بولعه بجمع الكتب ، والذي حول مكتبه إلى مكتبة عامة في منتصف القرن السابع عشر ، وفيها ١٢ ألف كتاب و ٤٠٠ مخطوط . وما ساهم في تطور « مكتبة مازارين » أن إدارتها وضعت تحت إشراف العالم المكتبي غابريل نوده ، صاحب كتاب « طريقة تنظيم المكتبة » ، الصادر عام ١٦٢٧ ، والذي يحدد أسس المنهج الجديد للمكتبة العامة ، بحيث توضع في خدمة العلم وبالتالي لا بد من رفقها بكل المراجع ومن اعتماد التصنيف المنطقي والمبسط على أساس الموضوعات .

والواقع أن نوده أول من صاغ نظرية تنظيم علم المكتبات الحديث ، وكان لكتبه تأثير كبير في فرنسا وفي بقية البلدان الأوروبية ، فقد ترجم إلى الإنكليزية واستفاد منه لايبينس في صياغة أفكاره حول دور المكتبة في المجتمع .

وبفضل جهود نوده لم تليست « مكتبة مازارين » أن أصبحت أهم مكتبة في فرنسا من حيث تنظيمها التموذجي وعدد كتبها ، الذي زاد على ٤٥ ألف مجلد .

غير أن ابتعاد مازارين عن السلطة أدى إلى إلحاق ضرر كبير بالمكتبة ومحنرواتها؛ فقد بيع الكثير من كنوزها ، وما إن عاد مازارين إلى السلطة حتى قام بإحياء مكتبه وفتحها للعامة في نهاية القرن السابع عشر ، حيث لائزال من أشهر المكتبات في فرنسا.

وهناك مكتبة دير سان جيفيف « ومكتبة أرسينال » اللتان لعبتا دوراً كبيراً في تطور الثقافة الفرنسية .

وفي إنكلترا اشتهرت مكتبة أو كسفورد القديمة ، التي يعود تأسيسها إلى بداية القرن الرابع عشر ، وأغنتت مخالصه في منتصف القرن الخامس عشر ، بعد أن وهبها الدوق هسפרי عدداً كبيراً من المخطوطات النادرة ، لكن الحروب والتزاعات أدت إلى ضياع محتويات هذه المكتبة في منتصف القرن السادس عشر . غير أن الدبلوماسي توماس بودلي قرر إحياء هذه المكتبة وجعلها في متناول المتعلمين ، وتمكن خلال فترة قصيرة من رقدها بـ ٢٥٠٠ كتاب ، وفتحها للعامة مع بداية القرن السابع عشر . ومنذ ذلك الحين بدأت المخطوطات والكتب القديمة تتدفق على المكتبة على شكل هبات أو عن طريق الشراء ، بما فيها مجموعة جون سلتن من المخطوطات اليونانية والشرقية وعدها ثمانية آلاف . وما ساعد على إغناء هذه المكتبة حصولها منذ بداية القرن السابع عشر على حق النسخة الثانية الإلزامية من كل كتاب يطبع في إنكلترا ، وتأتي اليوم في المرتبة الثانية في البلاد ، وتصنف ضمن أغنى مكتبات العالم بالكتب (٥٢ مليون كتاب) والمخطوطات النادرة . وتقديرًا لجهود بودلي فقد أطلق اسمه عليها ، ولائزال تحمل اسم مكتبة بودلي حتى يومنا هذا .

أما لندن فإن فكرة تأسيس مكتبة فيها تعود إلى القرن السادس عشر ، لكنها لم تتحقق إلا مع بداية القرن الثامن عشر ، حين قام جون كلن بتقديم مكتبة جده العنية بالمخطوطات هدية إلى الأمة ، وبعد أن اشتري البرلمان مكتبة السير جورج سلوانت ، الغنية بالمخطوطات والكتب النادرة (٣٥٠٠ مخطوط و ٤٠ ألف كتاب مطبوع) ، وحتى منتصف القرن الثامن عشر رفدت هذه المكتبة بمحنروات مكتبات وجموعات أخرى ، بما فيها كتاب « المكتبة الملكية » . وفي سنة ١٧٥٩ فتحت أبوابها للعامة تحت اسم « مكتبة المتحف البريطاني » ، حيث كانت تضم ١٣٢٠٠ مخطوط

و ٧٥ ألف كتاب ، وهي اليوم واحدة من أغنى مكتبات العالم - أكثر من ٧ مليون كتاب - بالإضافة إلى عدد كبير من المخطوطات والوثائق الأخرى .

أما في روسيا فقد كانت المكتبات الكبيرة قليلة نسبياً ، وقد ظهرت أول مكتبة علمية ضخمة في بطرس堡 في بداية القرن الثامن عشر ، وبعد سبعين عاماً على تأسيسها أصبحت تحصل على النسخة الإلزامية .

وفي نهاية القرن الثامن عشر تأسست « المكتبة الامبراطورية » في المدينة نفسها وذلك من الكتب التي نهبت من المكتبة الوطنية البولونية المعروفة باسم « مكتبة زالوسكي » ، هذا بالإضافة إلى ما اشتراه الامبراطورة كاترين الثانية من كتب مكتبي ديدرو وفولتير .

أما مكتبة لينين الحالية فقد تأسست في منتصف القرن التاسع عشر ، ولم تضم آنذاك سوى ٣٠ ألف كتاب وحوالي الألف مخطوط ، أما اليوم فيزيد رصيدها على الثلاثين مليوناً ، ويزيد عدد روادها على الـ ١٠ آلاف يومياً ، وتقدم لهم زهاء ١٥ مليون كتاب سنوياً ، وفيها أكثر من ٢٠ قاعة مطالعة ضخمة ، ولها العديد من الفروع في العاصمة الروسية . وهي بالإضافة إلى ذلك تساهم في تطوير علم المكتبات وأبحاثه ، حيث تصدر عدداً من المجالات المتخصصة مثل « مكتبات الاتحاد السوفيتي » و « علم المكتبات والبليوغرافيا في العالم » .

أما في الولايات المتحدة الأمريكية فإن المكتبات لم تظهر فيها إلا في فترة العصور الحديثة ، كما هو بدعي ، فالقارنة الأمريكية ، كما هو معروف ، لم تكتشف إلا في نهاية القرن الخامس عشر ، ومن أهم المكتبات الأمريكية ، التي لا تزال قائمة حتى يومنا هذا ، مكتبة الكونغرس ، في مدينة واشنطن والتي يعود تأسيسها إلى عام ١٨٠٠ ، أما تسميتها هذه فتعود إلى أنها تأسست أصلاً من أجل خدمة أعضاء الكونغرس الأمريكي ، ثم لم تلبث أن تحولت إلى مكتبة وطنية مركبة لعلوم الولايات الأمريكية ، وأصبحت من أكبر المكتبات في العالم ، حيث يزيد رصيدها من الكتب والمخطوطات والدوريات على الـ ٥ ملايين . ومنذ بداية القرن الحاربي عمدة إلى الإشراف على إصدار طبعات تصنيف ديوي ، كما تصدر المجالات المتخصصة في علم المكتبات والقهاوس البليوغرافية المختلفة .

الفصل الخامس

المكتبات في العصور الحديثة

الطباعة في الوطن العربي

اكتشافها ، إنشارها

يعود الفضل الأول في إكتشاف الطباعة إلى الصينيين الذين كانوا من أوائل الأمم التي اقتنت فن الطباعة باستخدام القوالب الخشبية ، وأول من أتقن الكتاب المطبوعة ، حيث كان أقدم كتاب مطبوع على هذه الطريقة بعنوان « درية البروزية » الذي احتوى على مجموعة من الحكم والأمثال الصينية ، وفي القرن السادس للميلادي كانت الصفحة المراد طبعها تكتب بحروف مقلوبة ، ثم تلصق على لوح خشبي مصقول ، بعد ذلك تحدد وتغمر وفن هذه الحروف على المثبت ، ومن ثم يوضع الخبر عليها وتقلب على الورق المراد طبعه ويضغط عليه بوساطة اسطوانة فنظهر الحروف مطبوعة عليه .

ويعتقد بعض المؤرخين أن هذه الألواح الخشبية كانت موجودة عند الصينيين قبل أوروبا بفترة ليست بقصيرة .

كان تطور الطباعة فيما بعد كخطوة متقدمة وهي إيجاد حروف معدنية متحركة وبخاصة الحاس لإنتاج حروف متحركة ، يعود الفضل لمكتشف الألماني يوهان جوتيرغ (١٣٩٨ - ١٤٦٨) كان كثير الاهتمام بالقراءة والكتب ، تلمذ على يد طابع للكتب بالقوالب الخشبية ، ثم في مصنع لمناظير ، بعدها بدأ يعمل سرا في اختراع الطباعة المتحركة حتى عام ١٤٥٦ ، قام بطبع كتاب المشهور « التوراة ذات الاثنين والأربعين سطراً » في مدينة ماينز الألمانية ، كان ذلك بمساعدة صديقه وشريكه بطرس سويفر وفونست .

أما الطباعة ودخولها إلى البلدان العربية فقد تأخرت عن بداية ظهورها في أوروبا وذلك لظروف عديدة وأأسست في القطرتين السوري واللبناني من قبل بعض الطوائف المسيحية من أجل نشر الأفكار الدينية والعلائقية بين أوساط الطائفة المارونية في لبنان التي كانت قائمة في لبنان ، الذي يعد البلد العربي الأول في معرفة الطباعة وأأسست المطبعة لتكون أداة تشويط الشعور الطائفي بين السريانين والكلدانين ونشر الآراء الدينية التي كانت سائدة في ذلك الوقت .

أول مطبعة في لبنان كانت باسم « دير فرجيا » وهي أقدم الأديرة ، تقع جنوب طرابلس . حيث يعود تاريخ إنشائها إلى العقد الأول من القرن السابع عشر ، وأول كتاب صدر عن هذه المطبعة هو كتاب « المرامير » الذي طبع سنة ١٦٦٠ ، وكان باللغة السريانية والكرشوفية .

وفي سوريا بادرت الطائفة الأرثوذكسيّة بتأسيس أول مطبعة عربية بحلب سنة ١٧٠٦هـ / ١٧٢٦م ، ثم تلاها المسلمون في سنة ١١٤٠هـ / ١٧٣٦م بإنشاء مطبعة بالحرف العربي في إسطنبول ، وكان ذلك أثناء الحكم العثماني كانت هذه بحد ذاتها إحدى الدلالات لنضور المجتمع العربي ودخوله مرحلة جديدة من الآراء والأفكار المتغيرة والتي أخذت أبعاداً أكثر من الترويج للدين ونشره ، وتوسعت فيما بعد في طبع الكتب العلمية والأدبية والتاريخية .

كانت أقدم مطبعة حكومية في القطر السوري (المطبعة والجريدة الرسمية) والتي بعد من أقدم دور الطباعة في الوطن العربي .

أُنشئت مطابع أخرى مهمّة مثل مطبعة « جريدة الأيام » في دمشق سنة ١٩٢٧ ، في فترة ما بين الحربين العالميتين ، وعرفت سابقاً باسم مطبعة « بابل أخوان » طبعت فيها صحف عديدة منها جريدة « الرأي العام » ، وفي سنة ١٩٣٦ أسس محمد هاشم الكبي وشريكه المطبعة الهاشمية ، من أجل طبع الكتب الدراسية والخرائط الملونة بعد أن طبعت المصاحف .

أما في مصر فكان للحملة التي قام بها نابليون بونابرت وسميت بالحملة الفرنسية كان لها أثراً الإيجابي في مجال الطباعة ، حيث جلبت مطبعة أهل استخدامها إنشاء الحملة عام ١٧٩٨ ، وهذه المطبعة كانت تستورد من مسابك الحروف في إيطاليا ، أرجحت مع رحيل الفرنسيين عن الأرض المصرية عام ١٨٢١م .

وأول مطبعة مصرية كانت مطبعة بولاق في سنة ١٨١٩ يداره نقولا مسابكي بالإضافة إلى مطابع أخرى دامت حتى سنة ١٨٤١ مثل مطبعة الطب في أبي زويل وهي مطبعة رسمية أُنشئت بعد مطبعة بولاق .

قامت الطباعة الرسمية في مصر بدور مهم وكبير للفترة من ١٩٤٠ - ١٩٥٢ حيث تقدمت تقنياً وتعلمتها الكثير من المصريين ، وقامت بدورها في خدمة الوطن

وللمواطن مطبوع دار المعارف وتوعية الأفراد منذ الطفولة وحتى الشباب ، حيث خصصت مجلة للأطفال منذ سنة ١٩٥٢ م وبالصور الملونة .

أما في العراق كانت أول مطبعة هي دار السلام في بغداد أست عام ١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م كان مصيرها كما هو الحال في مصر زميلاتها من مطبعة لبنان وسوريا هو الإغلاق بعد أن طبعت كتاب بعنوان « دوحة الوزراء » ، كذلك مطبعة كربلاء الحجرية والتي يعود فضل إنشائها إلى أحد كبار رجال بلاد فارس . امتازت كتب هذه المطبعة بأنها كانت تخص أعمال التجارة والأدبية الدينية وأشهر ما طبع كان بعنوان « مقامات الألوسي » بتاريخ ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م . وترققت قبل الحرب العالمية الثانية .

أول صحفة رسمية صدرت في بغداد سنة ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م سميت « بالزوراء » نسبة إلى مطبعة الزوراء التي أنشأها مدحت باشا . واستقدمت لها الأدوات الطياعية من باريس مع مطبعة حجرية تدور بالبخار ، كان مديرها الشاعر جميل صدقى الزهاوى ، حتى أصبحت هذه المطبعة من أكبر المطابع في العراق .

المكتبات في العصور الحدبية

منذ العصور القديمة تبرعت المكتبات وعلاقتها بالمؤسسات الإدارية والحكومية والملحقة بالمعابد . كما هو الحال في العصر الإسلامي وبخاصة في زمن ازدهار الثقافة والعلم والأدب والأدياء حتى وصل عددها العشرات في المدينة الواحدة مثل بغداد والموصل . وانتشرت بحارة الورق والكتب بين البلدان وزخرمت المكتبات بالمحفوظات الشعيبة المزخرفة والمنهية والمصورة برسومات تحكي الموضوع وتصوره إما بالنبات والزهور أو برسوم الحيوانات والطيور . حتى أصبح الكتاب يجذب القارئ المتشوق لقراءته واقتنائه من الناحتين الفكرية والجمالية التي تبني الذوق الرفيع .

وفي العصور الوسطى ابتكرت طريقة التصوير اليدوي ومن ثم الطبع والاستساغ مما شجع على ظهور الصحف والمدوريات والمقالات العلمية .

تطورت المكتبات وأساليب عملها وخدماتها في العصر الراهن ، حسب أوضاع البلدان السياسية والاجتماعية والثقافية وانعكاس لتطور المجتمعات والوعي لدى الأفراد مع الاختلاف من قطر إلى آخر . على اختبار أن المكتبات هي المرأة التي تعكس تطور وازدهار الأدب والعلم والفن والثقافة ، وفي الوقت نفسه وصلت البلدان إلى مرحلة متقدمة من التطور ، ولكن تفاوت درجات هذا التطور من بلد إلى آخر وحتى في البلد الواحد نفسه ، ويکمن السبب إلى اهتمام المسؤولين بهذا الجانب بالإضافة إلى وجود أسباب أخرى منها الحالة الاقتصادية والسياسية والثقافية فيه ارتباطاً بهذا الجانب كانت دراسة المكتبات هي الأخرى تتفاوت كعلم ومناهج من بلد إلى آخر ، ففي حين بدأت الجمهورية العربية المصرية ، العراق ، وتونس في أوقات سابقة حتى وصلت إلى دراسة الدكتوراه في علم المكتبات ، توحد أقطار أخرى بدأت في وقت متأخر

يادباج هذه الدراسة ضمن الدراسات الأكاديمية ، ولكن أغلىها كان قد مر في مرحلة من التدرييات والدورات المكتبية ، وجميع هذه الدراسات ليست على مستوى واحد من الأسلوب أو المنهج .

خلاصة القول يمكن عد المكتبات المتعددة الأنواع هي : العامة ، والوطنية والجامعية ، والمتخصصة ، والمدرسية ، جميعها تصب في بحث واحد وهو إعطاء الأهمية الكبرى لأى مجتمع وبخاصة في مجال البحث العلمي وما يحتاجه ذلك البلد في بناء مستقبل أفضل لشعبه .

المكتبات في سوريا

كان للمجتمع السوري الدور الكبير في ازدهار الثقافة والأدب والعلم ، وهي من أبرز مظاهر القرن العشرين ، وظهر رجال الفكر والمعرفة والأدب وذلك أثناء الحكم العثماني على سوريا ، ونشوء الوعي الوطني والقومي نساء ورجالاً ، حيث شكلت الجمعيات الأدبية والثقافية والسياسية لخدمة الوطن واستقلاليته من أي حكم أجنبي ، ثم صدور الصحف والمطالبة من خلالها بإنشاء المدارس وتعليم التعليم ، وتجاهد هذه المواقف الوطنية في حينها ، كان هناك طريق واحد يجب على الحكومة اتخاذة إلا وهو الموافقة على إنشاء المدارس والجامعات سنة ١٩٠٣ ، مثل كلية الطب والحقوق ، وكانت البداية لتكوين مكتبات جامعية بالإضافة إلى وجود مكتبة الظاهرية العامة في دمشق .

يوجد الآن في سوريا أنواع من المكتبات هي :

١ - مكتبة عامة (دار الكتب الوطنية الظاهرية) .

٢ - مكتبة وطنية مكتبة الأسد .

٣ - مكتبة متخصصة مكتبة كلية الطب والصيدلة ... وغيرها .

٤ - مكتبة جامعية مكتبة الآداب والتربية والحقوق ... الخ .

٥ - مكتبة المدارس مكتبة كل مدرسة .

٦ - مركز الوثائق التاريخية .

سوف نركز الحديث عن النوعين الأولين لأنهما يعدان من أهم المكتبات .

١ - دار الكتب الوطنية الظاهرية :

تعد هذه المكتبة من أقدم ما وجد حالياً في العصر الراهن حيث يعود تاريخ تأسيسها إلى ١٢٧٦هـ / ١٨٧٧م ، وسميت الظاهرية نسبة إلى مؤسسها الملك الظاهر بيبرس البندقداري الصالحي النجمي .

وكان أول من عمل على تطويرها هو الشيخ طاهر الجزائري ، حيث قام على تأسيسها وتحويل هذه الدار التي بنيت أساساً لتكون داراً أو مدرسة للملك الظاهر إلى خزانة كتب الظاهرية ، عندما كان الجزائري يشغل منصب مفتش معارف ولاية سوريا في سنة ١٢٩٦هـ / ١٨٧٥م .

جمعت هذه المكتبات التي عدلت في المعهد التركي من أكبر المكتبات في الشام لاحتوائها على الخامع القيمة من المخطوطات والكتب النادرة وسميت بالمكتبة العمومية ، ومن بعدها دار الكتب العربية ، ومن ثم سميت المكتبة الأهلية الظاهرية ، وتحت إشراف (جمعية المكتبة العمومية) وذلك سنة ١٢٩٩هـ / ١٨٨٠م . جمعت من عشر خزانات ومكتبة وهي :

١ - المكتبة العمرية ٣ - مكتبة بيت الخطابة ٢ - مكتبة الأوقاف

٤ - المكتبة المرادية ٥ - مكتبة الخاطرين ٦ - مكتبة الياغوشية

٧ - مكتبة الملائكة الكردي ٨ - المكتبة المرادية ٩ - مكتبة عبد الله باشا

١٠ - المكتبة الشميسانية

في سنة ١٩١٩ ألحقت هذه الدار التي تقع في منطقة قرب سوق الحميدية شمال الجامع الأموي ، والتي تعد من الأبنية القديمة والأثرية ، حيث بنيت من واجهتين متقابلتين مزخرفتين بالأحجار والفصوص والنواخذة القديمة ، وأصبحت ملحقة بديوان

المعارف ، ولما استقل المجمع العلمي العربي عن ديوان المعارف وضعت المكتبة تحت إشرافه وسن لها نظام داخلي خاص ، يحدد فيها الأقسام والمديريات والمهماة التي يجب تنفيذها ، مع قوانين تخص مواعيد المطالعة وشروط الإعارة الداخلية والخارجية ، ولكن بعد عدة سنوات وضع نظام داخلي جديد من قبل جمع اللغة العربية وأفرته وزارة التعليم العالمي .

أقسامها :

تتضمن أربع أقسام أساسية وهي :

- ١ - قسم المطبوعات
- ٢ - قسم المخطوطات
- ٣ - قسم الدوريات
- ٤ - قسم التصوير

١ - قسم المطبوعات :

ويكون مسؤولاً عن محتويات المكتبة من كتب مطبوعة عربية وأجنبية ، كما يقوم بتسجيل وتصنيف وفهرسة الكتب وإعاراتها خارجياً وداخلياً (سابقاً) والعمل على فهارس خاصة بالمؤلفين والعنوانين والمواضيع ، بعد إعداد البطاقات الخاصة بها ، وفق خطة تصنيف قديمة وضعها الدكتور يوسف العش المختص سابقاً في تنظيم المكتبات وطبق لأول مرة هذا النظام عام ١٩٣٧ ، وهذه الطريقة هي أن المواضيع توزع حسب الأرقام من ١ - ٥٣ ، ويبدأ من العلوم الدينية وينتهي بالعلوم الاجتماعية.

وأجريت تعديلات على هذا النظام بالإضافة أرقام فرعية للمواضيع الخاصة بالعلوم الرياضية والطبيعية والاجتماعية الحديثة واعتماد طريقة للمصنفات وهي أوراق سائبة .

ويوجد فهرسان بالمكتبة : الأول فهرس موضوعي مرتب أبجدياً والثاني فهرس للمؤلفين مرتب هجائياً .

والآن أصبح التصنيف حسب طريقة ديوبي العشرية الموضوعية . كما يتم حالياً العمل بفهرسة الكتب وذلك بثلاث بطاقات لكل كتاب وهي :

- (١) بطاقة المؤلف
- (٢) بطاقة العنوان
- (٣) بطاقة الموضوع

٤ - قسم المخطوطات :

بعد هذا القسم من الأركان المهمة جداً سابقاً والمقصود هنا قبل افتتاح مكتبة الأسد الوطنية ، التي حول إليها الكثير من هذه المجموع من المخطوطات القيمة لحفظها وصيانتها باعتبارها من التراث القومي .

تأسس هذا القسم سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م ، مع تأسيس هذا الدار .

بلغ مجموع المخطوطات ١٣ ألفاً من أهم ما كتب قديماً وفيها الكثير من النوادر مثل (مخطوط مسائل الإمام أحمد بن حنبل) نسخ عام ٢٦٦هـ ، وكتاب (المختلف والموقوف) للأزدي نسخ عام ٤٨٩هـ ، كما ضمن هذا القسم مواضيع متعددة في جميع جوانب المعرفة والعلوم .

أنشئ في هذا القسم فهارس خاصة بالمخطوطات وهي فهارس بأسماء المؤلفين وأنجز بالعنوانين وطبع الكثير من هذه المخطوطات في فهارس مطبوعات قام بها مجمع اللغة العربية في دمشق وضمت مواضيع متنوعة وذات فهرسة موضوعية لكل مخطوط . تتضمن المعلومات الأساسية عن كل مخطوطة مثل العنوان / اسم المؤلف ، الخط ، نوع الورق ، عددها ، وتعار هذه المخطوطات إعارة داخلية ويطلب من مدير المكتبة .

مثال :

١) العشري ، يوسف .

فهارس مخطوطات دار الكتب الوطنية : التاريخ وملحقاته / وضع يوسف العشري - دمشق : بجمع اللغة العربية ، ١٩٤٧ - ١٩٤٩ . ص ٢٥؛ ٢٥ سم .

٢) حسن ، عزة .

فهارس مخطوطات دار الكتب الوطنية : الشعر / وضع عزة حسن - دمشق : بجمع اللغة العربية ، ١٩٦٤ - ١٤٣٦ . ص ٢٥؛ ٢٥ سم .

٣) حمارنة ، سامي ، دار الكتب الوطنية : الطب والصيدلة / سامي خلف حمارنة - دمشق : بجمع اللغة العربية ، ١٩٧٩ - ١٩٨٠ . ص ٦٠٠؛ ٢٥ سم .

٣ - قسم الدوريات :

تجمع فيه الكثير من الصحف والжалات إن كانت عربية أو أجنبية ، بعد استلامها عن طريق الشراء أو المدابا وتنظم وترتتب حسب العناوين على الرفوف وبمسلسل هجائي ، وقد تم عمل فهارس خاصة بالжалات . ولكن على شكل ملفات ، تخصص فيها كل ورقة مجلدة معينة تذكر فيها المعلومات الازمة عنها ترتيب هذه الملفات هي الأخرى وفق الحروف الهجائية لأسماء الجلات .

أما قسم الصحف فهو يضم الجرائد الوارددة للمكتبة إن كانت عربية أو عربية (القديمة والحديثة) منها جريدة المرصد ، الشام ، الحياة والجرائد السورية المهمة مثل «ألف باء» ، «الأيام» ، «القبس» ، «بردى» وغيرها . وترتبت حسب العناوين .

٤ - قسم التصوير :

يقوم هذا القسم بتلبية احتياجات القراء من باحثين وطلبة في تصوير صفحات المخطوطات أو الكتب ، وفق استمرارات خاصة بهذا الطلب بعد دفع رسوم رمزية . كما يستعمل أفلام الميكروفيلم أو الفوتوستات .

مكتبة الأسد الوطنية

هذه المكتبة بناءة تعتبر من أحدث الأبنية المجهزة بالوسائل التقنية والفنية من أجل النجاح مهامها بسهولة وسرعة وفق ما تتطلبه المرحلة الراهنة والشورة العلمية ~ التكنولوجية وتطور الأبحاث والدراسات وبقية الحالات العلمية والثقافية والفكرية وترانيم المعلومات ، حتى أصبح من المتعذر حصر بحاجتها وتنسيقها وتنظيمها وحفظها إلا بمساعدة المختصين وأجهزة الكمبيوتر والمكتبة الحديثة .

وبناسبة وطنية افتتح في دمشق هذا الصرح الثقافي في يوم الجمعة المصادف ١٦/١١/١٩٨٤ من قبل السيد رئيس الجمهورية وفق مرسوم تشريعي رقم ١٧ عام ١٩٨٣ .

تتكون هذه البنية من تسعة طوابق مقسمة إلى مديريات وأقسام وشعب ومستودعات خاصة بالكتب ، ومن أجل تنفيذ المهام المطلوبة من أي مكتبة وطنية ، وهي جمع وحفظ وصيانة النتاج الفكري لفترات السابقة والحاضرة وحفظها للأجيال القادمة .

كذلك تنفيذ المهمة الكبيرة الثانية وهي خدمة المجتمع من طلبة وأساتذة وباحثين وتسهيل الوصول إلى معلومات حديثة وقيمة في نفس الوقت وتوفيرها لهم .

مهاماتها :

ويمكن إيجازها كما يلي :

- ١ - اقتناء الكتب والمطبوعات بجميع اللغات بالإضافة إلى العربية ، وتوفيرها بعد إجراء عدة عمليات مكتبية وهي : التسجيل ، المهرسة والتصنيف ، والتوثيق ، عمل الفيشهات ومن ثم ترتيبها في الفهارس .
- ٢ - اقتناء وحفظ المخطوطات والوثائق الثقافية والتاريخية والأدبية .
- ٣ - القيام بالبحوث والدراسات وإصدار المطبوعات والمدوريات والنشرات .
- ٤ - إصدار البيبلوغرافيا الوطنية والكتشاف التحليلي للصحف والжалلات .
- ٥ - تنظيم الدورات التدريبية في مجال المكتبات لتأهيل العاملين في هذا المجال .
- ٦ - إجراء الاتصالات والمبادرات مع دور الكتب الوطنية العربية والأجنبية .
- ٧ - تسهيل الإعارة الداخلية والخدمة المرجعية للقراء والباحثين .
- ٨ - إقامة الندوات الثقافية والفنية ومعاضن الكتب وإقامة المؤاسم الثقافية للمكتبة .
- ٩ - إيفاد الموظفين والمعلمين فيها لدورات تدريبية واستطلاعية على المكتبات في الخارج .

إداراتها :

يقوم بالإشراف على أعمال المكتبة :

- ١ - مجلس الإدارة .
- ٢ - المدير العام .

وتتبع المكتبة إدارياً وزارة الثقافة والإرشاد القومي في دمشق ولها ميزانية مستقلة تتبع الموارنة العامة سنوياً .

المديريات الرئيسية :

تتألف هذه المكتبة من مديريات وأقسام وشعب يعمل فيها ٢٥٥ موظفاً وعاملة، ذوو شهادات جامعية وخريجو الثانوية والمعاهد الأخرى ، بعد أن تم تدريبهم على العمل المكتبي وقواعد من قبل أسانذة متخصصين بهذا المجال وأهم هذه المديريات هي :

آ - مديرية التزويد والإيداع : تشرف هذه المديرية على ثلاثة أقسام هي :

- أ - التزويد بالمواد المطبوعة وغير المطبوعة ومن عدة موارد منها :**
- ١ - الشراء ، ٢ - الهدايا ، ٣ - التبادل ، ٤ - الإوداع .

وتتضمن الشعب التالية :

١ - شعبة الدوريات ، ٢ - شعبة الكتب ، ٣ - شعبة المواد غير المطبوعة ،

ب - قسم الإيداع القانوني : ويضم فيه استلام كتب الإيداع القانوني حسب المادة ١٧ من المرسوم التشريعي لعام ١٩٨٣ .

ج - قسم التبادل والهدايا : وفيه يتم تنظيم السجلات اللازمة للهدايا والتبادل وإعداد المراسلات الخاصة ، وتسجيل أ نوعية المعلومات في السجلات الخاصة بكل مادة والعمل بالجرد السنوي وعدد هذه السجلات ٨٠ .

٢ - مديرية الفهرسة والتصنيف :

تقوم هذه المديرية بفهرسة وتصنيف المواد الثقافية وجميع أ نوعية المعلومات الواردة للمكتبة . ووضعها في خدمة القراء والباحثين وتشرف على الأقسام التالية :

- ١ - **قسم التصنيف** : ومهتمه الإشراف على استلام المواد الثقافية من مديرية التزويد ، وتصنيفها وفق تصنيف ديوبي العشري « الطبعة العربية الأولى » .
- ٢ - **قسم الفهرسة** : بعد مرحلة التصنيف يقسم هذا القسم بفهرسة الكتب المصنفة والنظام المتبع هو وفق قواعد الفهرسة (الأنجلو الأمريكية) .
- ٣ - **قسم إعداد بطاقات الفهارس** : ومهتمة هذا القسم بالإشراف على إعداد الفهارس العامة للمكتبة والخاصة بالمؤلف ، والعنوان ، والموضوع ، والسلسلة .
- ٤ - **قسم خلاصة المعلومات** : يعمل هذا القسم على تدقيق المعلومات في جهاز الحاسوب الإلكتروني .

٣ - مديرية المخطوطات :

وتقوم بحفظ التراث القديم من المخطوطات والكتب النادرة وجمع هذه المواد ، وتصديرها ، وفهرستها بعد تسجيلها وتنظيمها . وتتضمن قسمين أساسين هما :

- ١ - **قسم التحقيق والدراسات** .
- ٢ - **قسم الحفظ** .

وتقوم هذه المديرية بعدة نشاطات خاصة بالمخطوطات هي :

- ١ - التزويد ، ٢ - التسجيل ، ٣ - المستودعات الخاصة بالمخطوطات ،
- ٤ - الإعارة ، ٥ - الفهرسة والتصنيف ، ٦ - النشاط الخارجي ، ٧ - الكتب النادرة .

٤ - مديرية الإعارة :

ومهمتها الإعارة الداخلية والإشراف على قاعات المطالعة وتهيئتها للقراء . بالإضافة إلى حفظ المواد الثقافية والإشراف على المستودعات والأقسام التابعة لها وهي :

- ١ - **قسم الإشتراكات وغرف المطالعة الفردية** .
- ٢ - **قسم المستودعات** .
- ٣ - **قسم قاعات المطالعة** .

٤ - قسم المكتوفين .

٥ - مديرية التوثيق والاعلام :

مهمة هذه المديرية إعداد البيبلوغرافيا الوطنية السورية لأول مرة منذ عام ١٩٨٤ ، وتوثيق الكشاف التحليلي ، والرسائل الجامعية وإصدارها في مطبوعات دورية .

وتتألف من قسمين رئيسيين وهما :

٦ - قسم التوثيق ، ويشمل دائرين :

أ - دائرة البيبلوغرافيا السورية .

ب - دائرة الكشاف التحليلي .

٧ - قسم الاعلام ، ويشمل دائرين :

أ - دائرة المجلة .

ب - دائرة الدراسات .

مع العلم أن القسم الثاني لم يبدأ عمله وذلك لظروف طارئة .

التجازات وإحصائيات المكتبة :

قامت مكتبة الأسد منذ افتتاحها وتنفيذ مهامها في جمع وحفظ التراث الوطني والقومي وذلك من خلال النشاطات التالية :

١ - جمع المطبوعات بواسطة الشراء والإيداع والتبادل وأهداباً للنتاج الفكري داخل القطر وخارجها حتى أصبح عدد الكتب حالياً (٢٨٣٨٩٩) من الكتب العربية والأجنبية بالإضافة إلى الأطروحات والرسائل الجامعية التي بلغ مجموعها ٦٩٩٢٠ .

٢ - شراء مكتبات خاصة من الشخصيات المعروفة .

٣ - سحب مخطوطات قديمة من المكتبة الظاهرية بلغ مجموعها ١٩٢١٤ مخطوطاً حسب إحصاء ١٩٩٧ وكتب نادرة لحفظها وصيانتها وتصويرها .

- ٤ - فهرسة وتصنيف الكتب والمواد الثقافية وحالياً يجري فهرسة المواد السمعية والبصرية .
- ٥ - إصدار المبليوغرافيا الوطنية السورية وتوزيعها على جهات مختلفة وتم إصدار (٦) مطبوعات منها للجامعة و (١٢) مطبوع للمبليوغرافية الجازية .
- ٦ - إصدار الكشاف التحليلي لمقالات الصحف وال المجالات .
- ٧ - إقامة المعرض السنوي للكتاب العربي لمدة ١٠ عشرة أيام .
- ٨ - تدريب الكادر المكتبي على أصول الفهرسة والتصنيف والتزويد .
- ٩ - تقديم خدمات الإعارة للمشترين في المكتبة من الطلبة والباحثين .
- ١٠ - تقديم خدمات التصوير وبطلب من المشترك ولقاء مبلغ رمزي .
- ١١ - إقامة ندوات عمل حول العمل الأرشيفي وتطوره في البلاد العربية ، والتثقيق وخدمة المعلومات بالتعاون مع منظمة الإيسكو ، وندوة ترميم المخطوطات التي أقامتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومعهد المخطوطات العربية - الكويت .
- ١٢ - على صعيد النشاط الثقافي والمتعدد الجوانب قامت المكتبة بما يلي :
- ١ - محاضرات ثقافية .
 - ٢ - ندوات ومؤتمرات .
 - ٣ - اجتماعات رسمية وشبه رسمية .
- ٤ - دورات تدريبية ومساهمة في إقامة افتتاحاتها في المكتبة أما على الصعيد الترفيهي قامت بما يلي :
- ١ - عرض أفلام .
 - ٢ - حفلات موسيقية .
 - ٣ - معارض .
- ٤ - العاب الحاسوب الإلكتروني .

المكتبات في العراق

كان العراق مركزاً من مراكز الحضارة والثقافة في بداية العصور الوسطى ، وعرفت بغداد عاصمة الدولة العباسية بأنها مركز من مراكز الثقافة المتعددة آنذاك مثل دمشق في الشام ومكة المكرمة والنجاشي والقاهرة في مصر .

ومع دخول هولاكو إلى العراق عام ١٢٥٨ ، فقد تعرضت الثقافة إلى تدهور وحراب شاملين ، بما فيها المكتبات الفخمة ذات المعطوطات الثمينة . يذكر إن قسماً كبيراً منها أحرق وقسماً آخر قد نهب هذا فضلاً عن رمي القسم الكبير من الكتب في نهر دجلة بحيث اصطبغ الماء بالحبر وأصبح لونه غامقاً ، وعاش العراق مرحلة مظلمة لا يمثل لها في ظل الغزوات والاحتلال . فقد عمَّ البلاد الجهل والأمية . وبقي هذا الحال لمدة خمسة قرون مظلمة ، تناولت الحكومات الأجنبيَّة والرجعية بدعوا من الحكم العثماني ومن ثم الاستعمار البريطاني الذي كان شعاره « فرق تسد » وعمَّ البلاد بالظلم والتخلُّف ، فانتشرت الأفكار القدِّيمة والمعصبة والآراء الرجعية ، حتى أوائل القرن الحالي كانت هناك شخصيات اجتماعية معروفة من أدباء وعلماء ورجال دين اتصفوا بالوطنية وكانتوا على اطلاع ودرأية بالثقافات الأخرى وتبثُّ شعارات الحرية والاستقلال ورفض كل ما هو أجنبي . اخندوا من الأماكن المقدسة والعتبات الدينية ملتقى ثقافياً وسياسياً ودينياً مثل مدينة بغداد والنجف والبصرة .

كانت أهم فترة لانطلاق الحركات التورية وأبطالها في المساهمة السياسية الوطنية والرافضة لكا ما هو رجعي والذي يعوق حركة التقدم مثل :

تعليم الأطفال ، ورفع حجاب المرأة أي (السفور) ، الندوات الثقافية والمشاركة بالحركات الوطنية مثل ثورة العشرين سنة ١٩٢٠ التي أيدتها أفراد الشعب في كثير من المراكز الريفية من الشمال إلى الجنوب ، حتى نال العراق استقلاله في سنة ١٩٢١ بعد نضالات ومعارك خاضها الشعب العراقي من أجل ذلك .

كانت المكتبات عاملًا من العوامل التي ساعدت على التأثير ضد الجهل بأفواهها المتعددة ، حيث وجدت المكتبات الخاصة وال العامة والمتخصصة والأكاديمية والمدرسية .

أنواع المكتبات في العراق :

- ١ - المكتبة الوطنية ، ٢ - المكتبات العامة ، ٣ - المكتبات المدرسية ،
- ٤ - المكتبات الجامعية ، ٥ - المكتبات المتخصصة ، ٦ - مكتبة الطفل .

١ - المكتبة الوطنية :

تعود مسؤولية هذه المكتبة إلى وزارة الاعلام ، حيث كانت المسئولة عنها عند افتتاحها ، وبعد جهود كبيرة بذلها السيد نهاد عبد الحميد الناصري في فترة الخمسينات من أجل تكوين مثل هذه المكتبة صدر قانون المكتبات الوطنية رقم ٥١ سنة ١٩٦١ ، وحددت فيه الأهداف المتغيرة وهي جمع وحفظ التراث العراقي والعربي ، وإصدار البيبليوغرافية الوطنية والمتخصصة في مجال معين من العلوم والثقافة ، وجمع الدراسات والبحوث ، لكي تكون هذه المكتبة التي كانت عاملا وأساساً لها مكتبة دار السلام ومكتبة وزارة المعارف هي أولى مكتبة وطنية في العراق .

وفي سنة ١٩٦٩ كان صدور قانون المطبوعات رقم (٧١) حدد فيه إلزام المطابع بتقديم نسخة واحدة إلى المكتبة الوطنية وجهات أخرى مثل : المكتبات المركزية في جامعة بغداد والموصل والبصرة . وهي المطبوعات غير الدورية حتى عام ١٩٧٠ صدر قانون الإيداع الذي أكمل القانون السابق والملزم بوصول المدوريات كذلك للمكتبات ، وهو قانون رقم (٣٧) الذي يعين فيه مركز الإيداع القانوني في المكتبة الوطنية في بغداد ويتضمن المواد المشمولة أو التي تخضع لهذا القانون وهي الكتب والنشرات ، والمطبوعات المتنوعة والمجسمات والمنحوتات الفنية والمحفلات والأشرطة الصوتية والبصرية والمسابقات الوناقية والجرائد الرسمية (الواقع العراقي) والمواد الأخرى . يتم تسليم نسخة واحدة منها أو نسختين حسب المادة المسلمة وتم افتتاح هذه المكتبة عام ١٩٧٧ والتي تقع مقابل وزارة الدفاع في باب المعظم .

بناؤها :

تتألف من طابق أرضي ، وطابقين آخرين بالإضافة إلى قاعة مستقلة تسع لثلاثمائة شخص . بالإضافة إلى ثلاث حجرات مخصصة للترجمة الفورية أثناء عقد المؤتمرات والندوات والمحاضرات .

وتوجد قاعتان متουسطتان على الجهة اليسرى من الباب الرئيسي ، إحداهما مخصصة للدوريات الحديثة (للمجلات والمصحف) التي ترد للمكتبة عن طريق الإيداع أو الاشتراك ، ويبلغ عدد عناوينها زهاء ٥٠ عنواناً . ويبلغ عدد الدوريات المشتركة بها حتى سنة (١٩٨٠) بخمس وعشرون مجلتاً وصحيفة عربية وخمس عشرة دورية باللغات ، كما يوجد معرض خاص لهذه المجلات والدوريات خلف رفوف زجاجية .

القاعة الثانية مخصصة كمعرض للفن التشكيلي الدائم والتابع إلى وزارة الإعلام ، وفي الطابق الأرضي توجد إلى اليمين من الباب الرئيسي قاعة مخصصة لعرض الكتب وهي تحتوي على ستة رفوف مائلة للعرض وذلك لعرض بعض الكتب النادرة .

الأقسام الرئيسية للمكتبة :

- ١ - قسم التزويد .
- ٢ - قسم الإيداع القانوني .
- ٣ - قسم الفهرسة والتصنيف .
- ٤ - قسم البيبليوغرافيا الوطنية .
- ٥ - قسم الإعارة والمراجع .
- ٦ - قسم الدوريات .
- ٧ - قسم الإدارة والذاتية .

١ - قسم التزويد :

وهو المسؤول عن جمع وشراء وتبادل وإهداء الكتب مع المكتبات الأخرى ، وتسجيل وتدقيق المطبوعات الواردة من جهات رسمية وغير رسمية في سجلات خاصة بالاستلام .

ولكن شعبة التبادل والإهداء ، استقلت عنه فيما بعد وتشمل أعمالهم بتنظيم العلاقة مع ٥٠ مكتبة وطنية وقومية في الوطن العربي والعالم . وتبادل المخطوطات الوطنية والنشرات التي تصدرها المكتبة .

٢ - قسم الإيداع القانوني :

موقع هذا القسم في الطابق الأول ، وهو القسم الذي يقوم بهمزة تسجيل المطبوعات العراقية والأطروحات والأشرطة المسجلة والنوشات الموسيقية والصور الفوتوغرافية والخرائط .

٣ - قسم الفهرسة والتصنيف :

ويتكون من شعبتين هما :

أ - شعبة المطبوعات الأجنبية . ب - شعبة المطبوعات العراقية .

ويضم خمسة عشر مكتبياً يحملون شهادة دبلوم مكتبات وتقوم هاتان الشعيتان بفهرسة وتصنيف المطبوعات العربية الأجنبية إلى مجموعات المعرفة الأساسية (ما عدا الدوريات التي لها تصنيفها الخاص) وتحصيص رقم الموضوع مع ثلاثة حروف من اسم المؤلف .

٤ - قسم المخطوطات والإحصاء :

يقوم هذا القسم المهم بالنسبة للخدمة المكتبية والعلاقات بعده أعمال أساسية فيما يخص المكتبة الوطنية وهي :

أ - إصدار المخطوطات الوطنية العراقية ، وهي نشرة فصلية .

ب - إصدار بليوغرافيا سنوية ابتداءً من عام ١٩٧٥ .

ج - إصدار نشرة فصلية مطبوعة باللة استساخ (الروبي) عن نشاط المكتبة فيما يخص حركة المطبوعات والمستعيرين والإعارة خلال ثلاثة أشهر .

د - تهيئة ببليوغرافيات في المناسبات الوطنية .

موقع هذا القسم في الطابق الأول .

٥ - قسم المراجع والإعارة :

يعد هذا القسم من أنشطط الأقسام في أداء واجبات المكتبة تجاه المجتمع وخدمته وهي مساعدة الباحث والطالب على الوصول إلى المراجع والمصادر بأسرع وقت وأقل الجهد ، وبلغت نسبة عدد المطالعين في عام ١٩٧٦ (٤٧٢٦٧) قارئاً . أما الكتب المعارة فهي ٢٦٥٣٢ ، أما الدوريات المعارة فهي ٢٦٠٦ منها ٦٧٦ كتاباً للغات الأجنبية مثل الإنكليزية والفرنسية والألمانية و ٤ كتاباً باللغتين الكردية والتركمانية .

موقع هذا القسم كذلك في الطابق الأول ، كما يضم في الجناح الغربي منه قاعة ضخمة للمطالعة تسع ثلاثة قارئات تحتوي على ١٢ غرفة مستقلة ويبلغ مجموع القاعات للمطالعة في المكتبة (٦) قاعات .

٦ - قسم الدوريات :

يقوم موظفو هذا الركن المهم من المكتبة باختيار وشراء وتحليم وعرض الدوريات بعد فهرستها وتصنيفها في لوحات مرجعية ، كما يحتفظ بالصحف والمجلات الصادرة في مصر ولبنان منذ العشرينات ويبلغ عدد مجلداتها حتى بداية مايس ١٩٧٧ زهاء عشرين ألف دورية .

٧ - قسم الإدارة والذاتية :

ويكون هذا القسم مسؤولاً عن إدارة شؤون الموظفين والحسابات والطابعة وآلية استنساخ والروابط .

وقدت وزارة الاعلام برغد الكادر العامل في هذه المكتبة بتعيين خريجي قسم المكتبات من الجامعة المستنصرية ، وبخاصة في قسم الاحصاء والبليوغرافيا الوطنية ، مما

- ٢ - قاعة للمطالعة مخصصة للشباب تسع لـ ٣٠٠ مطالع .
- ٣ - قاعة للأطفال تسع لـ ٣٠٠ طفل .
- ٤ - قاعة عامة للمطالعين تسع ٤٠٠ مطالع .
- ٥ - قاعة للمكفوفين تسع ٥٠ مكفوفاً .
- ٦ - قاعة للباحثين في المخطوطات تسع مائة باحث .
- ٧ - قاعة للدوريات تسع مائة مطالع للدوريات المختلفة مع أجهزة العرض اللازمة .
- ٨ - قاعة للمراجع العامة .
- ٩ - قاعة خاصة بالخرائط والمصورات الجغرافية وأوراق البردي تسع لـ ٥٠ باحثاً .
- ١٠ - قاعات مخصصة للإجتماعات .

نشاطاتها : قامت دار الكتب بعدة نشاطات مهمة إسهاماً منها في دعم الثقافة والحركة الأدبية والعلمية بثلاث نواحي أساسية هي :

- ١ - في مجال الثقافة والعلوم .
- ٢ - في مجال إدارة الشؤون المكتبة .
- ٣ - في مجال إدارة الشؤون الإدارية والمالية .

اهتمت حكومة التغيرة بتنظيم الكتب وتطوير عمل هذه الدار من أجل خدمة الرواد والمطالعين والباحثين من نواحي عديدة وأهم هذه الحالات الثقافة والعلوم حيث ساهمت الدار في عددة مؤتمرات عقدت في الوطن العربي والمؤتمرات العالمية نذكر بإختصار وهي :

المؤتمر الدولي للمكتبات عام ١٩٥٥ في بروكسل ، وإقامة حلقة دراسية للمكتبات ، تبادل المطبوعات بين الدول العربية التي عقدها جامعة الدول العربية في

دمشق ١٩٥٧ ، ومؤتمر منظمة اليونسكو الدولي لبحث مشروع التبادل الدولي للمطبوعات . وفي الحلقة الإقليمية لمنظمة اليونسكو في بيروت ١٩٥٩ ، وفي المؤتمر الدولي للمستشرقين في الاتحاد السوفييتي سابقاً عام ١٩٦٠ م .

تنظيمها : قامت الحكومة والإدارة المسؤولة عن هذه الدار بتطوير عملها في الجانب التنظيمي والقانوني ومن خلال :

١ - صدر عام ١٩٥٥ قرار للإيداع القانوني للمطبوعات في دار الكتب الوطنية وحدد لذلك خمس نسخ من كل مطبوع لحماية حق المؤلف . وفي سنة ١٩٦٢ أصدرت دشراً لإحصاء إسهام العلماء والمفكرين والأدباء والباحثين العرب في تطوير الثقافة والعلوم والحضارة الإنسانية .

٢ - صدر عام ١٩٥٦ قانون إعادة تنظيم دار الكتب وتقسيم العمل في دار الكتب على الأدوات والأقسام التالية :

آ - إدارة الشؤون المكتبة :

وتتضمن قسم التزويد والفالهار من العمدة للكتب والمحظوظات والدوريات المختلفة . وتعمل على تطوير العلاقات الثقافية والعلمية بين دار الكتب والمكتبات والمؤسسات العملية والثقافية في الوطن العربي والعالم وتبادل المعطوظات والاهتمام بالإيداع القانوني بنسخة من كل مطبوع وإصدار نشرات المراجع العربية والشرقية والأوربية .

ب - إدارة الخدمات المكتبة :

وتقوم بتأمين الإعارة الداخلية والخارجية وخدمة المطالعين والباحثين ونشر الثقافة العامة عن طريق المكتبات الفرعية وإقامة المعارض الفنية ومعارض الكتب والدوريات في المناسبات الوطنية والقومية وتشرف على الأقسام الأربع لها وهي :

١ - قسم الإعارة الداخلية والخارجية .

٢ - قسم الأمانة .

٣ - قسم الإرشاد .

٤ - قسم المكتبات الفرعية .

ج - إدارة الشؤون المالية والإدارية :

وتقوم بالإشراف على الأقسام والشعب التابعة لها وهي : الإدارة العامة والسكرتارية والحسابات والمخفظات والمطبعة والمخازن المستخدمون والتي تقوم بعده نشاطات مثل تكبير أفلام المخطوطات العربية وعرضها وإصدار مصادر التراث العربي المخطوط وفهارس المخطوطات وطبعتها وتصويرها ونشرها .

النشرة العربية للمطبوعات :

بدأت بالصدور منذ سنة ١٩٥٥م وقد تغير الاسم إلى نشرة الإيداع القانوني منذ سنة ١٩٦٩م وهي نشرة شهرية صدرت لها عدة تجمعات أحدها يغطي الفترة من سنة ١٩٥٥م - ١٩٦٠م والآخر يغطي الفترة ١٩٦١م - ١٩٦٢م والثالث سنة ١٩٦٣م وهي نشرة فصلية وتحتوي على أربعة أقسام :

١ - **القسم الأول** : رتب في الكتب وفق موضوعاتها وحسب نظام ديوبي .

٢ - **القسم الثاني** : يحتوي على معلومات عن الكتب المدرسية وكتب الأطفال مرتبة موضوعياً وهجائياً بالعناوين .

٣ - **القسم الثالث** : يحتوي على الكشافات التالية وهي :

آ - كشاف بعناوين الكتب مرتب هجائياً .

ب - كشاف بأسماء المؤلفين والمت�رجمين مرتب هجائياً .

ج - كشاف بالموضوعات المستعملة في النشرة ومرتب هجائياً .

٤ - **القسم الرابع** : يحتوي على بيانات عن الكتب الصادرة في مصر في هذه الفترة باللغات الأوروبية مع كشافات خاصة بها .

المكتبات في الكويت

١ - المكتبة المركزية :

نشأت المكتبة منذ ١٩٣٦ وتحت أسماء عديدة وأولها المكتبة الأهلية العامة ومن ثم مكتبة المعارف العامة وأخيراً سميت بالمكتبة المركزية ومكانها في منطقة المباركية وهي بالأصل مدرسة المباركية .

نشاطات المكتبة : تحرص هذه المكتبة على تجميع وحفظ وتنظيم المجموعات الخاصة بالكويت والدول العربية وعلى أساس هو :

١ - مجموعة الكويت والخليج العربي .

٢ - مجموعة الدراسات الإسلامية .

٣ - مجموعة الشرق الأوسط .

٤ - الدراسات النفطية .

٥ - المجموعات التشريعية .

تقوم شعبة الفهرسة والتصنيف باتباع نظام دبوبي في تصنيف الكتب ويعتمد على تقسيم الموضوعات والمعرفة إلى عشرة أقسام رئيسية وكما هو في المكتبات العربية الأخرى وتوجد شعب وأقسام أخرى أنشئت في سنة ١٩٧٤ مثل شعبة الدوريات وتعتبر مكتبة عامة للصحف وال مجلات الكريتية والعربية وتحتوي على أرشيف للمعلومات المحلية وحسب إحصائية عام ١٩٨٥ فإن جمجمة الدوريات هو سبعة آلاف مجلد من الدوريات العربية والأجنبية .

وشعبة الأجهزة السمعية والبصرية : وأنشئت كذلك عام ١٩٧٤ وتعمل هذه الشعبة على توفير هذه المواد لجميع المكتبات العامة وبلغ حجم المواد المسجلة في الشعبة ٣٣٠٥ مادة حتى نهاية عام ١٩٨٥ وتقوم هذه المكتبة بهام الإعارة الداخلية والخارجية ووفق الإحصائية للفترة من سنة ١٩٨٠ - ١٩٨٤ بلغ عدد القراء في عام

١٩٨٠ م / ٩٣٠ م ، قارئ ، مع أن هذه المكتبة حديثة العهد بالقياس إلى بقية المكتبات ولكن نشاطها البيليوغرافي واسع حيث شمل على عدة مجالات من المعرفة والأنواع البيليوغرافية المتعددة . بالإضافة إلى مكتبة الجامعة والتي تقوم بمهام المكتبة القومية في الكويت .

وبادرت إدارة المكتبات العامة بال مجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب إلى إصدار (سجل الإنتاج الفكري في الكويت خلال عام ١٩٨٣ م) كجزء من المشروع البيليوغرافي الوطني الكويتي وتصدر مرة واحدة في السنة بالإضافة إلى وجود خطة للعمل البيليوغرافي للمكتبة المركزية وهي :

- ١ - قائمة بيليوغرافية بالدوريات الغربية .
- ٢ - قائمة بالمطبوعات العربية الصادرة خلال عام ١٩٨٣ م .
- ٣ - قائمة بالمحظوظات الموجودة بالمكتبة المركزية للدولة .
- ٤ - قائمة بالندوات والمحاضرات التي سجلت حتى نهاية عام ١٩٨٥ م .
- ٥ - قائمة رسائل الدكتوراه والماجستير .
- ٦ - قائمة بكتب الأطفال والمكتبات العامة في الكويت .
- ٧ - قائمة بالمطبوعات الحكومية .

وصدرت البيليوغرافيا الكويتية لعام ١٩٨٥ م وهي خاصة بالإنتاج الفكري للكتب العربية الموجودة في المكتبة المركزية لعام ١٩٨٤ م والتي تضم ٨٢٢ كتاباً للمؤلفين الكويتيين وغير الكويتيين وفي هذا المطبوع اعتمد الرصيف البيليوغرافي ككل كتاب حسب قواعد الفهرسة الوصفية الأنجلو الأمريكية الطبعة الثانية .

وأخيراً وضع المشروع الخالص بإنشاء مكتبة وطنية للدولة ضمن الخطة الخمسية للأعوام من ١٩٨٥/٨٦ إلى ١٩٩٠/٨٩ من قبل المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب ويتضمن ما يلي :

« إقامة مكتبة وطنية توّاكب الاحتياجات المتزايدة للمواطنين من كل المستويات وتلبي احتياجات التوسيع في التعليم العالي وب مجال الأبحاث مع مواصلة الجهد لإقامة مكتبات عامة جديدة بهدف توفير الثقافة العامة للمناطق السكانية كافة والعمل على

إصدار فهرس وطني موحد يضم جميع محتويات مكتبات البلاد على أحدث النظم المطبقة عالمياً » .

أما موقعها فقد حدد على أساس المكتبة الوطنية للدول في شارع الخليج العربي بمنطقة القبلة وقدرتها الإستيعابية عند دخولها الخدمة هي نصف مليون كتاب على أن تبلغ جموعاتها القصوى مليون كتاب عام ٢٠٠٠ وزيادة الأجهزة السمعية والبصرية في نظام الكمبيوتر .

٢ - مكتبة الجامعة :

وهي المكتبة الرئيسية والجامعة (قبل افتتاح المكتبة المركبة) ألا وهي مكتبة جامعة الكويت . وتقوم بنشاط المكتبة القومية (سابقاً) في عدة مجالات وهي :

١ - مهمة التوثيق والبليوغرافيا .

٢ - مهمة التبادل والإهداء .

٣ - مهمة التصوير للمطبوعات والوثائق .

٤ - مهمة الخدمة المكتبية لطلاب الجامعة وهيئة التدريس والباحثين .

والخدمة المكتبية الأساسية لجمع المكتبات هي التوثيق والبليوغرافيا بالإضافة إلى الفهرسة والتصنيف والإعارة .

وفي هذا المجال قامت جامعة الكويت بإعداد بليوغرافيات عديدة منها :

آ - المتخصصة في موضوعات معينة :

ورتبت هذه البليوغرافيا ترتيباً موضوعياً وجغرافياً واشتملت على المراجع والكتب والدوريات والمقلولات والنشرات التي صدرت باللغات الأجنبية في المنطقة والتي بلغت ١٣٠٠ مرجع تغطي الموضوعات التي تختص المنظمة العربية وسميت :

Selected bibliography on kuwait and the Arabian Gulfmag 1969.

ب - البليوغرافيا المختارة عن الكويت والخليج العربي :

وتشمل جميع الموضوعات التي تخص هذه المنطقة وباللغة العربية ومن عدّة مراجع وكتب ومقابلات ودوريات واشتملت على ٧٩٤ مرجعاً، وذلك في قرر ١٩٧٠م.

ج - قرر وحدة البليوغرافيا والبحوث بالعمل على جمع كل ما يصدر عن الكويت والخليج العربي وذلك بهدف جمع المعلومات في بليوغرافيا شاملة وبدأت بالخطوات الأولى منذ سنة (١٩٧١) على أن تتضمن هذه البليوغرافيا مستخلصات للمقالات العلمية والكتب والتقارير.

وقد بدأ العمل أولاً في المراجع والمصادر الأجنبية وقامت بإعداد قوائم طلب للمصادر الأجنبية. و تم استلام قسم منها . وثم جمع مصادر حول هذا الموضوع بلغ بجموعها ٨٠٠ مرجع جديد بحيث أصبح الجموع الكلي للمصادر الأجنبية نحو ٢١٠٠ مرجع بالإضافة إلى البدء بوضع رؤوس موضوعات خاصة بها .

المكتبات في تونس

دار الكتب الوطنية :

تكونت أول نوارة مكتبية في عهد الحماية الفرنسية في شارع روسيا سنة ١٨٩١م ، ثم تحولت إلى مقرها الحالي الكائن بسوق العطارين سنة ١٩١٠م وأطلق عليها اسم المكتبة العمومية .

وأطلق عليها اسم (دار الكتب الوطنية) أثر استقلال البلاد سنة ١٩٥٦ .
 إدارياً تتبع هذه المكتبة وزارة الشؤون الثقافية ويعمل بها ١٦٣ موظفاً بينهم ٨٧ متخصصاً في أعمال المكتبات و ٣٤ موظفاً إدارياً و ٤٢ عاملاً ماهراً . أما ميزانيتها الإجمالية فتبلغ / ٣٥٠٠٠ دينار تونسي .

وقام بإدارتها مسؤولون من المحافظين التونسيين . بذلك كل واحد منهم جهوداً نلمس ثمارها الآن من خلال جموعاتها وتنظيمها ومطبوعاتها مثل النشرات البيبليوغرافية الوطنية العربية الخاصة في جميع ما يصدر من مطبوعات داخل الوطن العربي . ولقاء خدماتها للمجتمع التونسي والعربي وتطوير جموعاتها وإعطاء نتيجة أفضل ما قدمت الحكومة بتخصيص موقع آخر الآن وهو قرب مقبرة سidi أحمد السقا بشارع ٩ أبريل والإيعاز للعماريين الفنيين بإعداد بناء عصرية وبرج من ٨ طوابق مع رصد ميزانية كبيرة لهذا الغرض تقوم هذه المكتبة بعدة مهام أساسية هي :

- ١ - جمع وحفظ المطبوعات الوطنية والوسائل السمعية والبصرية التي تشمل نواحي المعرفة البشرية بأجمعها .
- ٢ - تنشر البيبليوغرافيا الوطنية للمطبوعات والتراجم القومية والثقافية التونسي .
- ٣ - تقوم بالتبادل الداخلي في القطر وخارجـه .
- ٤ - تقوم بوظيفة الإيداع لكل ما ينشر في القطر التونسي .

٥ - إضافة إلى القيام ببقية الخدمات المكتبة وهي :

أ - الفهرسة والتصنيف .

ب - الإعارة للقراء .

ج - إقامة الندوات والمعارض .

هذا وتصدر البيبليوغرافيا الوطنية التونسية سنويًا للمطبوعات التونسية (الرسمية ، وغير الرسمية) بالإضافة إلى النشرة العربية للمطبوعات العربية لعام ١٩٨٥ وهي خاصة بما يصدر في الوطن العربي خلال هذه السنة باستثناء الكتب المدرسية وذلك بوساطة بنك الفارابي للمعلومات وعن طريق المعالجة الآلية للبيانات البيبليوغرافية استناداً إلى النظام الآلي لمعالجة العمل البيبليوغرافي وتغطي هذه النشرة الفترة الزمنية من ١٩٧٨-١٩٨٥ وما يعادل حوالي ١٩٠٠٠ كتاب أو معلومة وفيها قسمان رئيسيان هما :

١ - قسم المطبوعات باللغة العربية .

٢ - قسم المطبوعات باللغة الأجنبية ومن ثلاثة فروع أساسية هي :

١ - الكتب العامة ، ٢ - كتب الأطفال ، ٣ - المطبوعات الحكومية .

والحقت في نهايتها كشافين الأول للمؤلفين والثاني للتعاونين واعتمدت على قواعد التقنين الدولي للتوصيف البيبليوغرافي للكتب (ندوب) والتصنيف والاعتماد على تصنيف ديوبي العشري في طبعته الأولى التي أصدرتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - إدارة التوثيق .

مجموعاتها : إن مجموعات هذه المكتبة على أنواع : (مطبوعات ، خطوطات ، دوريات ، خرائط ... إلخ) . بالإضافة إلى رصيد قديم هام ، يتعلق بصورة خاصة بمنطقة شمال أفريقيا والعالم العربي وبلدان البحر الأبيض المتوسط وتعتبر من المجموعات المهمة باللغة العربية واللغات الأجنبية .

وكانت موجوداتها من الكتب حتى نهاية عهد الاحتلال الفرنسي كما يلي :

مطبوعات عربية ٣٣٠٠٠ ر ٣٣ مجلد .

مطبوعات غير عربية ٢١٥٠٠ ر ٢١ مجلد .

وفي سنة ١٩٨٣ بلغت هذه المجموعات من المطبوعات العربية ٣٠٠٠٠٠ مجلد.

ومن المطبوعات غير العربية ٤٥٠٠٠ مجلد.

وكان يجمع ما فيها من المخطوطات قبل ذلك لا يتجاوز عددها ٤٩٠٠ مخطوط وبعد تجميعها من مكتبات عديدة وخاصة مثل مكتبة الأحمدية والتي ضمت ٤٤٦٤ مخطوطاً والمكتبة الصادقية والتي ضمت ١٤٠٥ مخطوطاً وبعد تriage شخصيات علمية وأفراد والشراط الخاص بدار الكتب الوطنية لمكتبات خاصة بلغ تجميع الفهارس التي سجلت فيها ٨ فهارس الأول خاص بمكتبة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب ومجموعها ٩٥١ مخطوطة والثاني حزء من المكتبة الأحمدية . والستة فهارس الباقية سجل فيها ما معدله ١٠٠٠ مخطوط لكل فهرس .

أقسامها : وفق المهام الملقاة على عاتق هذه المكتبة والخدمات المكتبية التي تقوم بهاخصوصاً في مجال البحث العلمي والمساهمة في تطوير التنمية الثقافية والعلمية وجدت أقسام عديدة وذلك حسب وظائفها وهي على النحو الآتي :

- ١ - الإدارة العامة .
- ٢ - الأمانة العامة .
- ٣ - قسم المخطوطات .
- ٤ - قسم المطبوعات .
- ٥ - قسم الدوريات .
- ٦ - قسم الإيداع الشرعي .
- ٧ - قسم الحفظ والتناولة .
- ٨ - قسم الشراء .
- ٩ - قسم العلاقات الخارجية .

الجزائر

المكتبة الوطنية :

تأسست عام ١٨٣٥ أثر الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقرها الحالي في شارع فرائز فانون .

تعاقب على إدارتها منذ تأسيسها عدّة علماء فرنسيين وجزائريين وتم إصدار التشريع اللازم لها وتحديد أوقات الدوام . مساحة المكتبة حالياً تبلغ ٤٨٠٠ م^٢ ، تحتوي على ثلاث قاعات للمطالعة وتنبع القاعة الواحدة ١٥٠ قارئاً .

ووفق القانون الصادر عام ١٩٧٠ حددت مهام وواجبات هذه المكتبة والتي تطورت وفق الظروف السياسية بعد الاستقلال وهي :

- ١ - حفظ التراث الجزائري من كتب ودوريات وخطوطات ووسائل ص��ية وبصرية بالإضافة إلى المجموعات الجديدة المحلية والكتب التي كتبت عن الجزائر في الخارج بالنسخ والتصوير .
- ٢ - نشر البي bliوغرافيا الوطنية .
- ٣ - تطوير القسم العربي بصورة خاصة بعد أن كان مهملاً في الماضي .

مجموعاتها : وفق القانون الصادر عام ١٩٤٣ والمرسوم الصادر عام ١٩٥٦ الرم الناشرون والمطباعون في الجزائر بإيداع همس نسخ في المكتبة من كل ما يطبع داخل الجزائر من مؤلفات ودوريات وتحفظ المكتبة بنسخة لديها . ونسخة أخرى لقيد الإعارة ونسختين لقسم التبادل ونسخة ترسلها إلى قصر الحكومة لحفظ في مكتبه . وتحتوي هذه المكتبة على مجموعات كبيرة من الكتب والدوريات والخطوطات القديمة باللغة العربية والفرنسية وبباقي اللغات مثل الإنكليزية والروسية .

أقسامها الرئيسية :

للمكتبة عشرة أقسام وفق أهداف المكتبة والمهامات التي تقوم بها من خدمات مكتبية وثقافية هي :

- ١ - القسم العربي .
- ٢ - القسم الدولي .
- ٣ - قسم المخطوطات .
- ٤ - قسم الدوريات .
- ٥ - قسم الإيداع القانوني والبليوغرافيا الوطنية .
- ٦ - قسم التبادل .
- ٧ - قسم البحث العلمي وهو القسم الذي يعد الكتب والصحف والمحلاط لتحضيرها للنشرة البليوغرافية .
- ٨ - قسم التحليل والتزمير .
- ٩ - قسم الإعارة .
- ١٠ - قسم التشبيط الثقافي والعرفات الخارجية .

وتصدر الآن قانون جديد للإيداع بعد أن كان القانون القديم يلزم كل دار نشر بتزويد المكتبة الوطنية بأربع نسخ وإرسال المطبعة نسخة منه .

ولكن إذا طبع الكتاب خارج الجزائر فترسل أربع نسخ منه للمكتبة وتعفى المطبعة من إرسال نسخة . والقانون الحالي وضعه الجزائريون للمختصون بهذا المجال بعد أن كان القانون القديم قد وضعه الفرنسيون .

وتصدرت عن المكتبة الوطنية بليوغرافيا وطنية تضم التشرفات والدوريات التي تصدر في الجزائر وتصدر كل ستة أشهر وتسمى «البليوغرافيا الجزائرية» بالإضافة إلى بليوغرافيا تضم النتاج الجزائري في عشر سنوات من كتب ومقالات مما صدر في الجزائر وخارجها سواء كان في البلدان العربية أو الأجنبية .

وتصدر هذا النتاج بعد صدور قانون الإيداع في ٢٧ أيلول عام ١٩٥٦ ويلزم فيه كل دار نشر بتقديم أربع نسخ من الكتب التي تنشرها للمكتبة الوطنية .

مصادر الفصل الخامس

- ١ - بداية الطباعة باستنبول وببلاد الشام : تطور الخطيط الثقافي - وحيد قدورة ،
تونس : الجامعة التونسية ، ١٩٨٦ - ٣١١ ص.
- ٢ - تاريخ الطباعة في الشرق - خليل صايات - القاهرة : دار المعارف بمصر ،
١٩٥٨ .
- ٣ - دليل مدارس علم المكتبات والمعلومات في الوطن العربي - إعداد محمد
أحمد ائيم ، تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٨٤ -
١٩٥ ص.
- ٤ - مكتبة الأسد الوطنية - وزارة الثقافة - دمشق - مطباع الوزارة ،
[٦.٥.٦] - ٨٦ ص.
- ٥ - المكتبة الوطنية وآفاق تطورها - فؤاد قرنيجي - بغداد : وزارة الاعلام ،
١٩٧١ - ٨٧ ص ، ٢٤ سم .